محمد الحبيب بن عبد الله

صراع في الحقول



الشركة التونسية للتوزيع

محمد الحبيب بن عبد الله

صراع في الحقول

نشر
الشركة التونسية للتوزيع

مُنْذُ أَحْقَابٍ خَالِيةٍ...

وَعُصُورٍ سَالِفَةٍ...

وَأَمَدٍ بَعِيدٍ...

فِي ٱلْجَنُوبِ... بَعِيدًا عَنْ شَاطِىءِ ٱلْبَحْرِ... وَقَرِيبًا مِنَ ٱلصَّحْرَاءِ... ٱنْقَطَعَتِ ٱلْأَمْطَارُ عَنِ ٱلْهُطُولِ.. ٱحْتَبَسَ ٱلْغَيْثُ. وَشَحَّتِ ٱلسَّمَاءُ بِدُمُوعِهَا فَجَفَّ ٱلضَّرْعُ. وَيَبِسَ ٱلزَّرْعُ. وَعَمَّ ٱلْكَرْبُ. وَٱشْتَدَ ٱلْبَلَاءُ.

ٱسْتَحْكَمَتِ ٱلْأَزْمَةُ. وَضَاقَتْ سُبُلُ ٱلْعَيْشِ بِالإِنْسَانِ وَٱلْحيوانِ. فَقَدْ صَارَتِ ٱلْأَشْجَارُ حَطَبًا جَزْلاً يَابِسًا. وَلَمْ تَعُدِ ٱلْأَعْشَابُ تَبْرُزُ فَوْقَ سَطْحِ الْأَرْضِ إِلاَّ نَادِرًا. فَلَسْتَ تَرَى إِلاَّ نَبَاتَاتٍ صَحْرَاوِيَّةً مُتَنَاثِرَةً هُنَا وَهُنَاكَ. نَضَبَتْ أَغْلَبُ ٱلْعُيُونِ. وَنَشَفَتْ جُلُّ ٱلْآبَارِ. فَأَنَّى ٱتَّجَهْتَ، فَلَسْتَ بِوَاجِدٍ إِلاَّ أَرْضًا مُغَبَّرَةً، تَعْلُوهَا سَمَاءٌ مُكْفَهِرَّةٌ. يَعِيشُ فِيهَا قَوْمٌ، ذَوُو جَلَدٍ وَصَبْرٍ. حَيَاتُهُمْ كِفَاحٌ مُسْتَمِرٌّ. وَجِهَادٌ مُتَوَاصِلُ ٱلْحَلَقَاتِ. فَوُجُوهُهُمْ كَالِحَةٌ، وَأَجْسَامُهُمْ نَاحِلَةٌ، وَلَكِنَّهُمْ عَنْ حَيَاتِهِمْ رَاضُونَ. وَبِأَرْضِهِمْ مُتَشَبِّثُونَ.

وَتَزِيدُ فِي ٱلصَّحْرَاءِ تَوَغُّلاً. فَتَزْدَادُ أَمَامَكَ مَنَاظِرُ ٱلْبُؤْسِ كَثْرَةً: ٱلْأَنْعَامُ مَاتَ جُلُّهَا. وَأَرَانِبُ ٱلْبَرِيَةِ لَمْ تَعُدْ تَجِدُ مَأْكَلاً. وَلاَ مَشْرَبًا. فَهَزَلَتْ، ثُمَّ نَفَقَتْ مَسْغَبَةً وَجُوعًا. وَٱفْتَرَسَتِ ٱلثَّعَالِبُ وَٱلذِّئَابُ مَا تَبَقَّى

مِنْهَا عَلَى قَيْدِ ٱلْحَيَاةِ. وَٱلطُّيُورُ هَاجَرَتْ إِلَى ٱلشَّمَالِ. حَيْثُ ٱلْحَبُّ وَٱلطَّعَامُ مَوْفُورَانِ. وَحَيْثُ ٱلْمَاءُ وَٱلْخُضْرَةُ لاَ يَنْقَطِعَانِ. وَفَرَّتِ ٱلْغِزْلاَنُ إِلَى جِهَاتٍ نَائِيَةٍ، وَأَمَاكِنَ قَاصِيَةٍ، تَجِدُ فِيهَا طَعَامَهَا وَشَرَابَهَا.



أَمَّا ٱلذِّئَابُ فَقَدْ لَقِـيَ أَكْثَرُهَا حَتْفَهُ هِيَ ٱلْأُخْرَى. وَمَا بَقِيَ مِنْهَا حَيًّا كَانَ يُكَابِدُ حِرْمَانًا قَاسِيًا، وَعَذَابًا قَاتِلاً، مِنْ جَرَّاءِ ٱلْجُوعِ ٱلْمُضْنِي. فَقَدْ فَقَدَتْ فَرَائِسَهَا مِنَ ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلْبَرِّيَّةِ، ٱلَّتِي أَوْشَكَتْ عَلَى ٱلانْقِرَاضِ. أَمَّا ٱلْأَغْنَامُ فَإِنَّ قُطْعَانَهَا صَارَتْ مَحْرُوسَةً حِرَاسَةً مُشَدَّدَةً. بِكِلاَبٍ شَرِسَةٍ، وَرُعَاةٍ مُزَوَّدِينَ بِبَنَادِقَ سَرِيعَةِ ٱلطَّلَقَاتِ. تُرْسِلُ نَارًا حَامِيَةً، وَرَصَاصًا لاَ يُبْقِي وَلاَ يَذَرُ.

وَتَرْجِعُ أَدْرَاجَكَ، مُوَلِّيًا وَجْهَكَ نَحْوَ شَاطِىءِ ٱلْبَحْرِ، فَتَنْفَرِجُ أَسَارِيرُ وَجْهِكَ، إِذْ يُسْلِمُكَ ٱلسَّيْرُ إِلَى وَاحَاتٍ خَضْرَاءَ يَانِعَةٍ، فِيهَا أَعْشَابٌ نَاضِرَةٌ، وَظِلاَلٌ وَارِفَةٌ. يَقْطُنُهَا أُنَاسٌ عَيْشُهُمْ أَرْغَدُ، وَتُرَابُهُمْ أَخْصَبُ، وَسَمَاؤُهُمْ أَجْوَدُ وَأَكْرَمُ. وَمِنْ أَخْصَبِ تِلْكَ ٱلْجَنَّاتِ... (وَاحَةُ ٱلعوينَاتْ)

(ٱلعوينَاتْ) أَرْضٌ حَبَاهَا ٱللَّهُ تُرْبَةً مِعْطَاءَ. وَعُيُونًا ثَرَّارَةً مُتَعَدِّدَةً. تَجُودُ بِمَاءٍ نَمِيرٍ سَلْسَبِيلٍ، يَسْتَغِلُّهُ ٱلْفَلاَّحُونَ فِي زِرَاعَةِ حُقُولِهِمْ. وَتَنْحَدِرُ فَوَاضِلُ ٱلْمِيَاهِ نَحْوَ ٱلْبَحْرِ. فَتَتَجَمَّعُ فِي أَرْضٍ مُنْخَفِضَةٍ، تَتَوَسَّطُهَا هَضْبَةٌ غَيْرُ مُرْتَفِعَةٍ. كَثُرَتْ فِيهَا ٱلْأَشْجَارُ، فَتَشَابَكَتْ وَتَدَاخَلَتْ. فَأَضْحَتْ أَدْغَالاً وَأَحْرَاشًا. لَمْ تَكُنِ ٱلذِّئَابُ تَنْقَطِعُ مِنْهَا. لِمَا تَجِدُهُ فِيهَا مِنْ طَعَامٍ وَمَأْوَى. لِذَلِكَ عُرِفَتْ تِلْكَ ٱلْهَضْبَةُ بِاسْمِ ((كُدْيَةِ ٱلْأَذْيَابْ)).

كِفَـاحٌ مَرِيـرٌ

صَعُبَ ٱلْعَيْشُ عَلَى ٱلذِّئَابِ. وَشَقَّتْ عَلَيْهَا ٱلْحَيَاةُ. وَلَمْ تَجِدْ مَكَانًا يَتَيَسَّرُ لَهَـا فِيهِ ٱلْقُوتُ غَيْرَ (وَاحَةِ ٱلعوينَـاتْ). فَاتَّجَهَتْ أَعْدَادٌ مِنْهَا

لاَتُحْصى إلَى تِلْكَ ٱلْوَاحَةِ. وَصَارَتْ تُغِيرُ عَلَى ٱلْحُقُـولِ. وَقُطْعَـانِ ٱلأَغْنَامِ. وَٱلزَّرَائِبِ وَٱلْحَظَائِرِ.



قَاوَمَ ٱلْفَلاَّحُونَ ٱلذِّئَابَ. بَيْدَ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا ٱلتَّغَلُّبَ عَلَيْهَا. لأَنَّهَا صَارَتْ شَرِسَةً لِلْغَايَةِ. وَتَرَكَتْ مَا ٱشْتَهَرَتْ بِهِ مِنَ ٱلْحَذَرِ وَٱلاحْتِيَاطِ. فَصَارَتْ تَرْمِي بِأَنْفُسِهَا إِلى ٱلتَّهْلُكَةِ جِهَارًا. وَلَمْ تَعُدْ تَخَافُ ٱلْمَوْتَ. أَوْ

تَخْشَى ٱلرَّدَى. وَلاَ تَرْهَبُ ٱلْحُرَّاسَ. وَلاَ ٱلْكِلاَبَ. وَأَضْحَتْ تَهْجُمُ عَلَى ٱلْأَغْنَامِ عِيَانًا. وَفِي وَضَحِ ٱلنَّهَارِ. فَتَقْتُلُ. وَتُقَتِّلُ. وَتُقَتِّلُ.. ثُمَّ لاَ تَمَسُّ شَيْئًا مِمَّا قَتَلَتْهُ، إِذْ تَتْرُكُهُ طَرِيحًا عَلَى ٱلْأَرْضِ... وَأَثْنَاءَ هُجُومِهَا يُجَنْدِلُ رَصَاص ٱلْحُرَّاسِ مِنْهَا مَا يُجَنْدِلُ. وَتَقْتُلُ ٱلْكِلاَبُ مَا تَقْتُلُ. وَتَتَرَاجَعُ ٱلذِّئَابُ ٱلَّتِي كُتِبَتْ لَهَا ٱلسَّلاَمَةُ. إِلَى ٱلْأَدْغَالِ ٱلْمُجَاوِرَةِ لِلْوَاحَةِ، فَتَقْضِي بَقِيَّةَ ٱلنَّهَارِ مُخْتَبِئَةً هُنَاكَ. حَتَّى إِذَا أَقْبَلَ ٱللَّيْلُ. وَجَنَّ ٱلظَّلاَمُ. رَجَعَتْ إِلَى أَرْضِ ٱلْمَعْرَكَةِ. وَهُنَاكَ تَكُونُ جُثَثُ ٱلْأَغْنَامِ مُتَنَاثِرَةً... وَلاَ رَقِيبَ وَلا حَسِيبَ... وَعِنْدَئِذٍ.. وَفِي مَأْمَنٍ مِنَ ٱلْحُرَّاسِ وَٱلْكِلاَبِ. تَأْكُلُ حَتَّى تَشْبَعَ. ثُمَّ تَنْصَرِفُ. وَقَدِ ٱمْتَلأَتْ بُطُونُهَا. وَضَمِنَتْ لِأَنْفُسِهَا ٱلْحَيَاةَ. بِضْعَةَ أَيَّامٍ قَادِمَةٍ. ٱبْتَعَدَ فِيهَا عَنْهَا خَطَرُ ٱلْمَوْتِ جُوعًا.

وَتَفَطَّنَ أَرْبَابُ ٱلْأَغْنَامِ، وَرُعَاتُهَا، لِحِيلَةِ ٱلذِّئَابِ... فَاخْتَارُوا جَمَاعَةً مِنَ ٱلْحُرَّاسِ ٱلْمَشْهُورِينَ بِدِقَّةِ ٱلرِّمَايَةِ، وَإِصَابَةِ ٱلْهَدَفِ. وَأَبْقَوْهُمْ فِي أَرْضٍ قَامَتْ فِيهَا ٱلذِّئَابُ بِهُجُومٍ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ ٱلْغَنَمِ. وَتَرَكَتْ عَدَدًا وَافِرًا مِنْهَا صَرِيعًا عَلَى ٱلثَّرَى...

وَغَطَّى ٱللَّيْلُ ٱلْكَوْنَ بِسِتَارِهِ ٱلْأَسْوَدِ ٱلْحَالِكِ... فَجَعَلَتِ ٱلذِّئَابُ تَتَقَاطَرُ إِلَى حَيْثُ تَرَكَتْ قَتْلاَهَا مِنَ ٱلْأَغْنَامِ. مُهْتَدِيَةً إِلَى مَوَاقِعِهَا بِأُنُوفِهَا ٱلْحَادَّةِ ٱلشَّمِّ. وَعُيُونِهَا ٱلْقَوِيَّةِ ٱلنَّظَرِ. وَكَانَ ٱلْحُرَّاسُ لَهَا بِالْمِرْصَادِ. فَتَصَيَّدُوا كُلَّ ذِئْبٍ قَادِمٍ. وَأَصْلَوْهُ نَارًا حَامِيَةً. وَهَكَذَا تَرَكُوا ٱلذِّئَابَ صَرْعَى بِجَانِبِ ٱلْغَنَمِ. وَٱخْتَلَطَتْ دِمَاءُ ٱلْقَاتِلِ وَٱلْمَقْتُولِ. وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَيُّ ذِئْبٍ

ٱلاقتِرَابَ، فَحرِمَتْ مِنَ ٱلْأَكْلِ وَٱلطَّعَامُ بَيْنَ يَدَيْهَا، وَتَحْتَ سَمْعِهَا وَبَصرِهَا وَلَكِنْ دُونَهُ ٱلْبَلاَءُ، المَاحِقُ وَٱلْمَوْتُ ٱلزؤَامُ.

وَتَكَرَّرَتِ ٱلْعَمَلِيَّةُ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً . ٱلذِّئَابُ تُغِيرُ وَتُقَتِّلُ، وَٱلحُرَّاسُ يَخْتَفُونَ، وَيَكْمُنُونَ. ثُمَّ يَصْرَعُونَ كُلَّ ذِئْبٍ تُحَدِّثُه نَفْسُهُ بِالْعَوْدَةِ. وَكَانَتِ العَاقِبَةُ وَخِيمَةً دَائِمًا عَلَى ٱلذِّئَابِ ٱلَّتِي أَخَذَ عَدَدُهَا يَتَنَاقَصُ شَيْئًا فَشَيْئًا. وَيَقِلُّ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ.

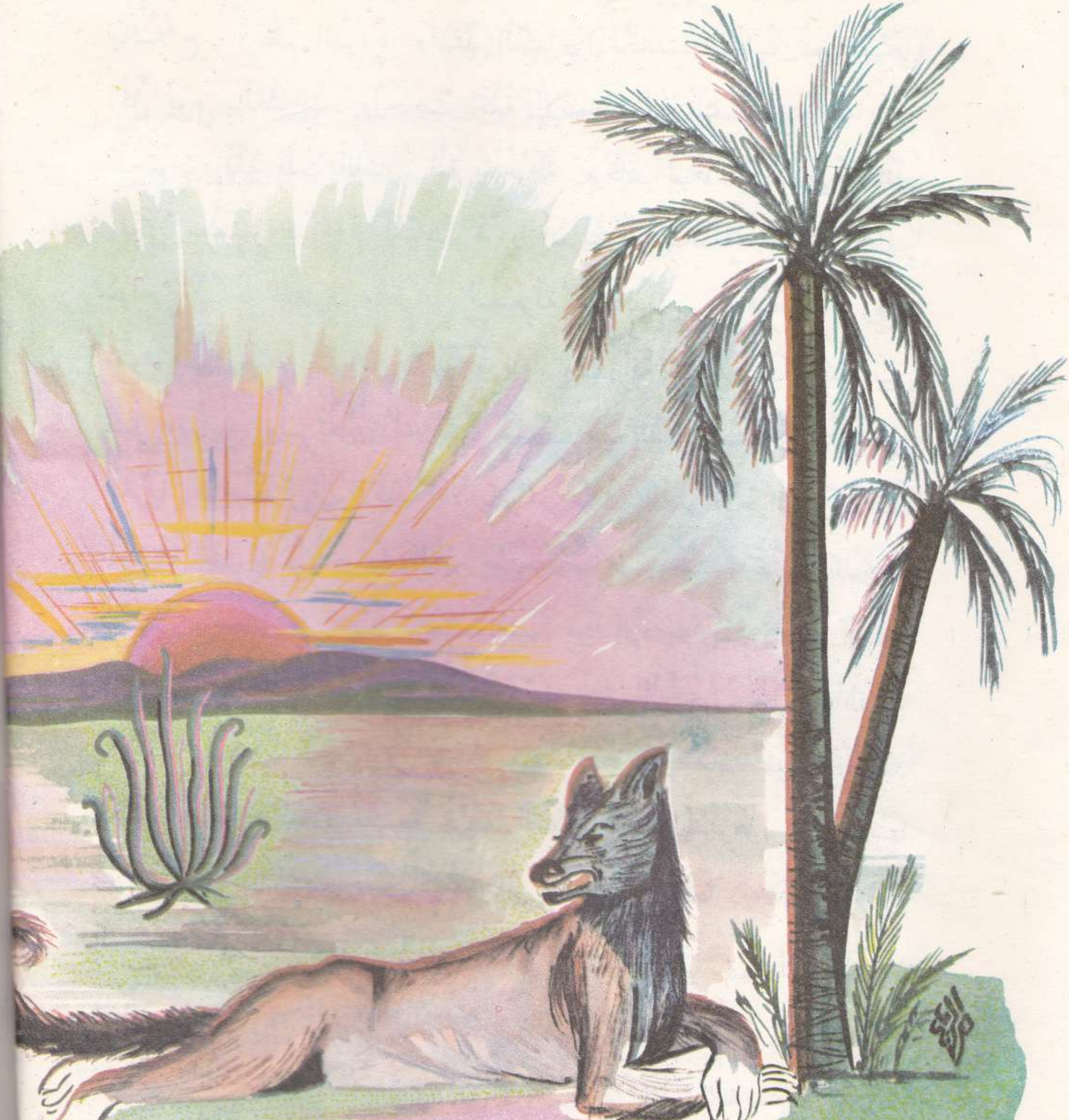
سُدَّتْ سُبُلُ ٱلْعَيْشِ فِي وُجُوهِ ٱلذِّئَــابِ. فَاشْتَدَّتْ ضَرَاوَتُهَا. وَعَظُمَتْ وَحْشِيَّتُهَا، وَٱسْتَأْسَدَتْ . فَصَارَتْ تَجْتَمِــعُ قُطْعَانًا قُطْعَانًا . وَتَعْتَرِضُ ٱلطَّرِيقَ. فَتُهَاجِمُ ٱلْمُسَافِرِينَ . وَتَفْتِكُ بِالْعُزَّلِ ٱلَّذِينَ لاَ سِلاَحَ مَعَهُمْ، وَبِالْمُنْفَرِدِينَ، وَٱلصِّغَارِ. وَٱسْتَفْحَلَ ٱلشَّرُّ، وَتَفَاقَمَ ٱلْأَذَى بِالْوَاحَةِ. وَكَبُرَ ٱلْخَطْبُ عَلَى ٱلْفَلاَّحِينَ، وَخَاصَّةً مِنْهُمْ أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ تَطَرَّفَتْ حُقُولُهُمْ وَبَعُدَتْ . حَتَّى فَكَّرَ ٱلْبَعْضُ مِنْهُمْ فِي تَرْكِ فِلاَحَتِهِمْ. وَإِهْمَالِ أَرَاضِيهِمْ. اتِّقَاءً لِشَرِّ ٱلذِّئَابِ ٱلَّتِي أَوْشَكَتْ أَنْ تَفْتَكَّ ٱلْحُقُولَ مِنْ أَرْبَابِهَا.

حَمْلَةُ تَطْهِيرٍ

تَذَمَّرَ سَاكِنُوا ٱلْوَاحَةِ. وَضَجُّوا. بَلْ إِنَّهُمْ صَارُوا فِي هَمٍّ مُقْعِدٍ مُقِيمٍ. فَلَمْ يَعُدْ يَهْنَأُ لَهُمْ عَيْشٌ، أَوْ يَطِيبُ أَكْلٌ أَوْ مَنَامٌ. وَأَصبَحَ ٱلْقَضَاءُ عَلَى ٱلذِّئَابِ شُغْلَهُمْ ٱلشَّاغِلَ. ٱلَّذِي يُفَكِّرُونَ فِيهِ آنَاءَ ٱللَّيْلِ، وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ. وَتَكَرَّرَتِ ٱلاجْتِمَاعَاتُ وَٱلْمُشَاوَرَاتُ، يُجْرِيهَا ٱلْفَلاَّحُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ. فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ، وَٱتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ أَجْدَرَ بِهِمْ مِنَ ٱلتَّعْوِيلِ عَلَى

أَنْفُسِهِمْ. فَتَزَوَّدُوا بِالْبَنَادِقِ وَٱلذَّخِيرَةِ. وَعَيَّنُوا مِنْ بَيْنِهِمْ ٱلْحُرَّاسَ ٱلمُدَجَّجِينَ بالسِّلاَحِ. وَعَظُمَ ٱلصِّرَاعُ، وَٱشْتَدَّ ٱلْكِفَاحُ. فَكَانَتِ ٱلذِّئَابُ تَخِرُّ صَرْعَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْعَشَرَاتِ. وَرَجَحَتْ كَفَّةُ ٱلإِنْسَانِ. وَأَوْشَكَ أَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَى ٱلْحَيَوَانِ. فَقَدْ قَلَّتِ ٱلذِّئَابُ قِلَّةً مَلْحُوظَةً. وَكَادَ أَثَرُهَا أَنْ يَنْمَحِيَ بَتَاتًا. وَلِكَيْ يَطْمَئِنُّوا تَمَامَ ٱلاطْمِئْنَانِ، قَرَّرُوا أَنْ يَقُومُوا بِحَمْلَةٍ جَمَاعِيَّةٍ لِتَطْهِيرِ نَوَاحِي ٱلْوَاحَةِ ٱلنَّائِيَةِ، وَأَطْرَافِهَا ٱلْمُنْعَزِلَةِ مِنَ ٱلذِّئَابِ ٱلْبَاقِيَّةِ بِهَا. وَفِعْلاً شَنُّوا عَلَيْهَا حَمْلَةً شَعْوَاءَ. لاَ هَوَادَةَ فِيهَا، وَلاَ رَأْفَةَ. فَأَضْحَتِ ٱلذِّئَابُ بَيْنَ قَتِيلٍ وَشَرِيدٍ. وَلَمْ تَعُدْ تِلْكَ ٱلَّتِي سَلِمَتْ مِنَ ٱلْقَتْلِ تَسْتَطِيعُ ٱلدُّنُوَّ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ. فَتَجَمَّعَتْ فِي (كُدْيَةِ ٱلأَذْيَابِ)، حَيْثُ تَنْتَشِرُ ٱلأَحْرَاشُ وَٱلأَدْغَالُ ٱلْكَثِيفَةُ ٱلَّتِي يَعْسُرُ دُخُولُهَا وَٱلسَّيْرُ بَيْنَ أَشْجَارِهَا. وَهُنَاكَ كَانَتِ ٱلذِّئَابُ تَخْتَمِي بِجُحُورٍ هِيَ خَيْرُ مَلْجَإٍ يَحْمِيهَا مِنَ ٱلرَّدَى، وَيُنْجِيهَا مِنَ ٱلْفَنَاءِ عَلَى أَنَّهَا مَاكَانَتْ لِتَسْتَطِيعَ ٱلْبَقَاءَ دَوْمًا خِلاَلَ ٱلْجُحُورِ، وَبَيْنَ ٱلأَغْصَانِ، إِذْ أَنَّهَا مُضْطَرَّةٌ لِلْبَحْثِ عَنْ طَعَامٍ يُقِيمُ أَوَدَهَا. وَيَحْفَظُ عَلَيْهَا حَيَاتَهَا. فَكَانَتْ تَخْرُجُ لَيْلاً، مُغْتَنِمَةً فُرْصَةَ ٱلظَّلاَمِ ٱلَّذِي يَسْتُرُهَا. وَيُبْعِدُ عَنْهَا شَرَّ أَعْدَائِهَا. فَاتَّجَهَتْ حَمْلَةُ ٱلتَّطْهِيرِ إِلَى (كُدْيَةِ ٱلأَذْيَابِ) وَنُصِبَتِ ٱلْحِرَاسَةُ ٱلْمُشَدَّدَةُ عَلَى ٱلطُّرُقِ وَٱلْمَسَالِكِ ٱلْمُؤَدِّيَةِ لَهَا. وَقَتَلَ ٱلْحُرَّاسُ مِنَ ٱلذِّئَابِ مَارَمَى بِهِ سُوءُ بَخْتِهِ، وَدُنُوُّ مَنِيَّتِهِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ. وَصُرِعَتِ ٱلذِّئَابُ كُلَّ مَصْرَعٍ، وَلَمْ تَبْقَ إِلاَّ قِلَّةٌ لاَ تَكَادُ تُذْكَرُ، وَعَدَدٌ لاَ يُؤَثِّرُ.

عِنْدَئِذٍ تَنَفَّسَ ٱلأَهَالِي ٱلصُّعَدَاءَ... فَقَدِ ٱرْتَفَعَ ٱلْكَابُوسُ. وَزَالَ ٱلْخَطَرُ



ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ

كَانَتِ ٱللَّيْلَةُ حَالِكَةَ ٱلظَّلَامِ . إِذَا أَخْرَجَ ٱلإِنْسَانُ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا . فَقَدْ تَرَاكَمَتِ ٱلظُّلُمَاتُ فَوْقَ بَعْضِهَا : ظُلْمَةُ ٱللَّيْلِ، وَظُلْمَةُ ٱلْغَابَةِ، ثُمَّ ظُلْمَةُ ٱلسَّحَابِ ٱلْمُنْتَشِرِ فِي ٱلسَّمَاءِ .

وَفِي كُدْيَةِ ٱلْأَذْيَابْ...

وَوَسَطَ أَجَمَةٍ مُتَشَابِكَةِ ٱلْأَغْصَانِ، مُلْتَفَّةِ ٱلدَّوْحِ، يَعْسُرُ ٱلْوُصُولُ إِلَيْهَا.. كَانَ هُنَاكَ جُحْرٌ... تُغَطِّي مَدْخَلَهُ ٱلْحشَائِشُ وَٱلْأَغْصَانُ، فَتُخْفِيهِ عَنِ ٱلْعُيُونِ، وَيَسْلَمُ سَاكِنُهُ مِنْ شَرِّ ٱلْمُطَارِدِينَ، وَأَذَى ٱلْمُتَعَقِّبِينَ .

تحَرَّكَتِ ٱلْأَغْصَانُ... ثُمَّ ٱنْزَاحَتْ عَنْ مَدْخَلِ ذَلِكَ ٱلْوِجارِ.. وَبَرَزَ مِنْهُ رَأْسُ ذِئْبٍ.. ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَرَزَ بَدَنُهُ كُلُّهُ . فَإِذَا هُوَ ذِئْبٌ أَغْبَرُ ٱللَّوْنِ.. عَظِيمُ ٱلْجُثَّةِ.. مُنْتَصِبُ ٱلْأُذُنَيْنِ.. مُحْمَرُّ ٱلْعَيْنَيْنِ.. قَوِيُّ ٱلْأَنْيَابِ، حَادُّ ٱلْمَخَالِبِ.. وَاسِعُ ٱلْمَكْرِ وَٱلدَّهَاءِ.. شَدِيدُ ٱلْحَذَرِ وَٱلذَّكَاءِ...

وَقَفَ ٱلذِّئْبُ لَحْظَةً فِي مَكَانِهِ، مُتَنَصِّتًا، فَلَمَّا لَمْ يَشُمَّ، وَلَمْ يَسْمَعْ مَا يُرِيبُ. سَارَ بَيْنَ ٱلْأَغْصَانِ حَذِرًا، مُتَرَفِّقًا. لَا يُسْمَعُ لِخُطُوَاتِهِ حِسٌّ. وَلَا لِوَطْئِهِ عَلَى ٱلْأَرْضِ وَقْعٌ..

ٱسْتَمَرَّ ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ فِي سَيْرِهِ، وَهْوَ لَا يَنْفَكُّ عَنْ تَشَمُّمِ ٱلْهَوَاءِ فِي كُلِّ آنٍ... ثُمَّ ٱلْتَقَطَ أَنْفُهُ ٱلْقَوِيُّ ٱلشَّمِّ، رَائِحَةَ بِطِّيخٍ، يَحْمِلُهَا ٱلْهَوَاءُ، فَتَنَشَّقَهَا مَلِيًّا. وَلَمَّا عَرَفَ مَصْدَرَهَا. وَتَحَقَّقَ مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ بِهَا ٱلْهَوَاءُ. تَتَبَّعَهَا. حَتَّى ٱنْتَهَتْ بِهِ إِلَى حَقْلٍ وَاسِعٍ، ٱعْتَنَى بِهِ صَاحِبُهُ. وَزَرَعَ

فِيهِ ٱلْخُضَرَ، وَالفَوَاكِهَ ٱلْمُنَوَّعَةَ كَمَا غَرَسَ فِيهِ أَشْجَاراً مُثْمِرَةً، مُخْتَلِفَةَ ٱلْأَصْنَافِ، بَدَأَتْ تُؤْتِي أُكْلَهَا، فَثِمَارُهَا دَانِيَةٌ، وَقُطُوفُهَا جَانِيَةٌ.

دَخَلَ ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ ٱلْحَقْلَ. وَشَاهَدَ مَافِيهِ مِنْ فَوَاكِهَ شَهِيَّةٍ، وَثِمَارٍ نَاضِجَةٍ، تَفُوحُ رَائِحَتُهَا ٱلذَّكِيَّةُ مِنْ بُعْدٍ. وَرَغْمًا عَنِ ٱلْجُوعِ ٱلَّذِي كَانَ يُمَزِّقُ أَحْشَاءَهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَقْتَرِبْ مِنَ ٱلْبِطِّيخِ، أَوْ غَيْرِهِ. وَٱكْتَفَى بِالنَّظَرِ،



تَارِكًا كُلَّ شَيْءٍ فِي مَكَانِهِ. وَأَسْرَعَ بِالعَوْدَةِ إِلَى (كُدْيَة ٱلْأَذْيَابْ). وَهُنَاكَ... ٱرْتَقَى رَبْوَةً عَالِيَةً. وَأَخَذَ يَعْوِي عُوَاءً خَاصًّا، تَتَنَادَى بِهِ ٱلذِّئَابُ. فَاسْتَجَابَتِ ٱلذِّئَابُ ٱلْمُخْتَبِئَةُ بَيْنَ ٱلْأَدْغَالِ لِدُعَائِهِ. وَٱجْتَمَعَتْ حَوْلَهُ فِي أَسْرَعَ مِنْ لَمْحِ ٱلْبَصَرِ. وَٱنْقَطَعَ تَوَافُدُهَا بِسُرْعَةٍ، نَظَرًا لِقِلَّتِهَا. فَتَقَدَّمَهَا ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ. وَقَادَهَا إِلَى ذَلِكَ ٱلْحَقْلِ. فَدَخَلَتْهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. حَيْثُ أَنَّهُ لاَ سِيَاجَ فِيهِ. وَهُنَاكَ.. وَجَدَتِ ٱلذِّئَابُ ٱلْجَائِعَةُ، ٱلطَّاوِيَةُ طَعَامًا شَهِيًّا مُتَنَوِّعًا. فَزِيَادَةً عَنِ ٱلْبِطِّيخِ، كَانَ يُوجَدُ ٱلْقِثَّاءُ، كَمَا يَتَوَفَّرُ ٱلْخَوْخُ وَٱلإِجَّاصُ وَٱلْمِشْمِشُ. وَكُلُّهَا أَنْوَاعٌ تُعْجَبُ بِهَا ٱلذِّئَابُ، وَتُحِبُّ أَكْلَهَا. وَمِنْ ثَمَّ، فَقَدْ أَرْوَى كُلُّ ذِئْبٍ غَلِيلَهُ، وَأَشْبَعَ جُوعَهُ. ثُمَّ جَعَلَ يَنْتَقِي مَا يَلَذُّ لَهُ أَكْثَرَ، وَمَا يَرُوقُهُ أَحْسَنَ. وَلَمْ تَعُدْ تَأْكُلُ أَكْلَ ٱلْجَائِعِينَ بَلْ إِنَّهَا صَارَتْ تُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا تَأْكُلُ. وَلَمَّا أَوْشَكَ ٱلْفَجْرُ أَن يَنْبَلِجَ، وَبَدَأَ نُورُهُ يَطْرُدُ ٱللَّيْلَ، وَظُلْمَتَهُ، غَادَرَتِ ٱلْحَقْلَ، رَاجِعَةً إِلَى جُحُورِهَا، لِتَقْضِيَ ٱلنَّهَارَ هُنَاكَ فِي مَأْمَنٍ مِنْ فَتْكِ ٱلْبَشَرِ، وَمَبْعَدَةٍ عَنْ أَسْلِحَتِهِمْ ٱلَّتِي لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ..

وَتَكَرَّرَ مَا حَدَثَ فِي ٱللَّيْلَةِ ٱلْأُولَى، لَيَالِيَ عَدِيدَةً أُخْرَى. فَقَدْ وَجَدَتِ ٱلذِّئَابُ فِي حَقْلِ (السَّلاَّمِي)، مَرْتَعًا خِصْبًا آمِنًا. فَهِيَ تَأْتِي مُوقِنَةً بِوُجُودِ ٱلْغِذَاءِ ٱلشَّهِيِّ، وَٱلْأَمْنِ. فَتَأْكُلُ مَاشَاءَتْ وَٱشْتَهَتْ، مِنْ ثِمَارٍ نَاضِجَةٍ، وَغِلاَلٍ شَهِيَّةٍ، ثُمَّ تَعُودُ إِلَى مَخَابِئِهَا، سَالِمَةً مُطْمَئِنَّةً. فَلاَ حُرَّاسَ، وَلاَ حَوَاجِزَ. إِذْ أَنَّ (ٱلسَّلاَّمِي) صَاحِبَ ٱلْحَقْلِ، كَانَ غَائِبًا فِي جِهَةٍ نَائِيَةٍ بَعِيدَةٍ، يَحْصُدُ زَرْعَهُ.

وَلَمْ يُكَلِّفْ أَحَدًا بِحِرَاسَتِهِ. وَلَوْ لَمْ تَكُنِ ٱلثِّمَارُ كَثِيرَةً، وَافِرَةً، وَمُتَعَدِّدَةَ ٱلْأَنْوَاعِ لَمَا أَبْقَتِ ٱلذِّئَابُ مِنْهَا بَاقِيَةً.

بَدْءُ ٱلصِّرَاعِ

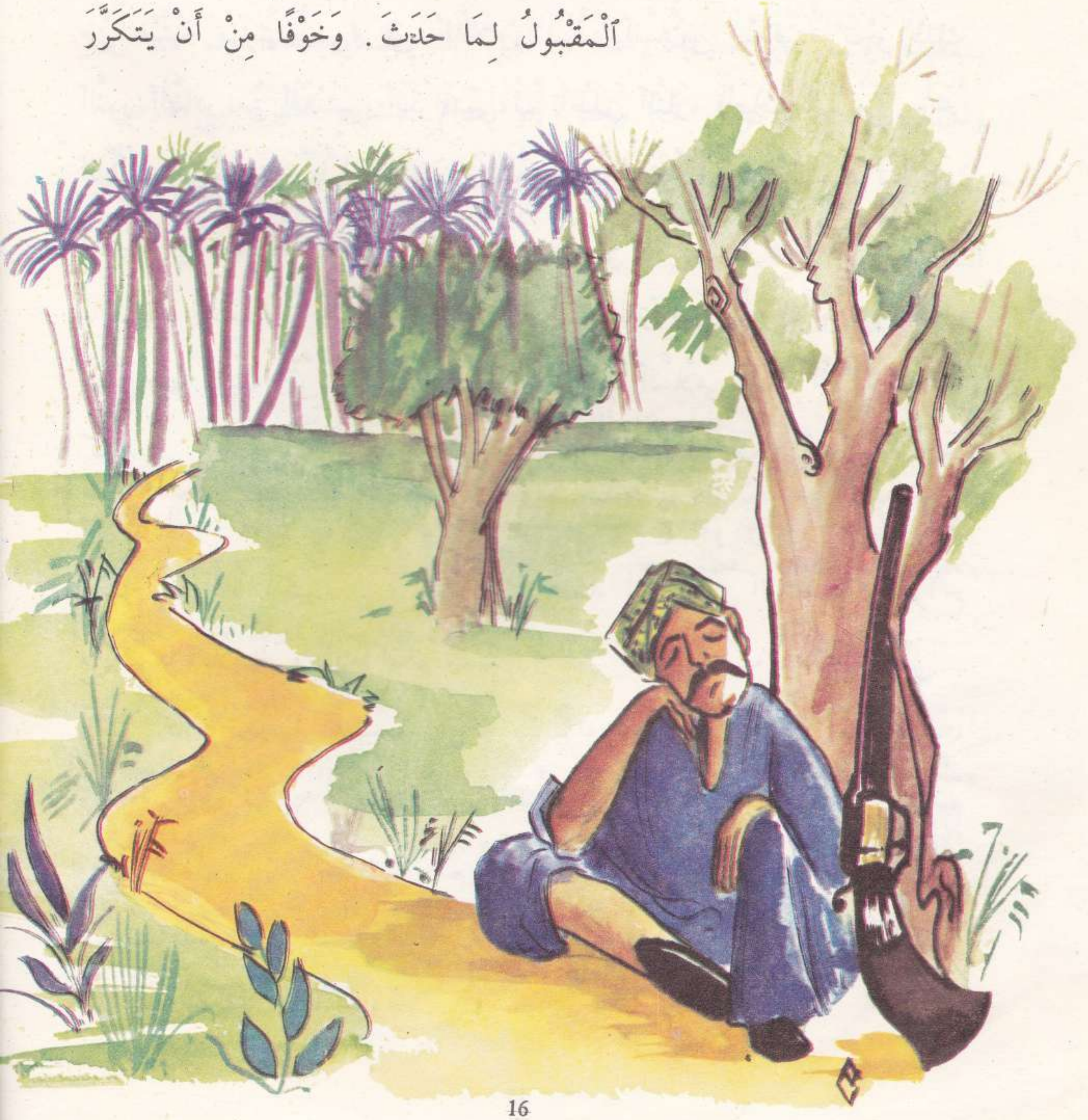
آبَ ٱلسَّلَّامِي مِنْ غَيْبَتِهِ. فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ فَعَلَهُ أَنْ ذَهَبَ إِلَى حَقْلِهِ يَتَفَقَّدُهُ. فَلَمَّا جَاسَ خِلَالَهُ، رَاعَهُ أَنْ أَلْفَى أَكْثَرَ ٱلثِّمَارِ مُلْقَاةً فَوْقَ ٱلْأَرْضِ، وَأَغْلَبَ ٱلْبِطِّيخِ مَأْكُولاً. كَمَا وَجَدَ آثَارَ أَقْدَامِ ٱلذِّئَابِ كَثِيرَةً فِي ٱلْأَرْضِ، وَوَاضِحَةً كُلَّ ٱلْوُضُوحِ، مِمَّا يُنْبِئُ بِأَنَّهَا كَانَتْ تَتَجَوَّلُ بِالْحَقْلِ، تَجَوُّلَ ٱلْمَالِكِ فِي مُلْكِهِ. فَتَفْعَلُ مَا يَرُوقُهَا، ثُمَّ تَنْصَرِفُ، غَيْرَ خَائِفَةٍ مِنْ صَوْلَةِ حَارِسٍ، أَوْ بَطْشِ كَلْبٍ.

قَرَّرَ ٱلسَّلَّامِي ٱلانْتِقَامَ مِنَ ٱلذِّئَابِ، وَٱلْقَضَاءَ عَلَيْهَا قَضَاءً مُبْرَمًا. فَاتَّفَقَ مَعَ حَارِسٍ كَلَّفَهُ بِأَنْ يَتَوَلَّى صِيَانَةَ ٱلْحَقْلِ وَإِبْعَادَ أَذَى ٱلذِّئَابِ عَنْهُ. وَفِعْلاً، بَاشَرَ ٱلرَّجُلُ عَمَلَهُ. فَكَانَ يَسْهَرُ أَوَّلَ ٱللَّيْلِ، ثُمَّ لاَ يَلْبَثُ أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَيْهِ ٱلنُّعَاسُ، فَيَغِطُّ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ، لَمْ يَكُنْ عَصْفُ ٱلرِّيَاحِ، وَلاَ قَصْفُ ٱلرُّعُودِ يُوقِظُهُ مِنْهُ. وَكَانَ وُجُودُهُ وَعَدَمُهُ سَوَاءً. فَقَدْ صَارَتِ ٱلذِّئَابُ تَدْخُلُ، وَتَخْرُجُ، وَتَأْكُلُ مَا يَعِنُّ لَهَا، بِدُونِ أَنْ يَنْتَبِهَ مِنْ سُبَاتِهِ ٱلْعَمِيقِ. وَعَاتَبَهُ ٱلسَّلاَمِي ٱلْكَرَّةَ تِلْوَ ٱلْكَرَّةِ. فَلَمَّا ٱتَّضَحَ لَهُ أَنَّهُ لَمْ يَرْتَدِعْ عَنْ غَيِّهِ، أَطْرَدَهُ، وَهُوَ يُرَدِّدُ ٱلْمَثَلَ.

مَا حَكَّ جِلْدَكَ مِثْلُ ظُفْرِكْ   فَتَوَلَّ أَنْتَ جَمِيعَ أَمْرِكْ

وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَتَوَلَّى ٱبْتِدَاءً مِنْ تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ ـ ٱلْحِرَاسَةَ بِنَفْسِهِ. فَلَمَّا حَلَّ ٱلْمَسَاءُ، قَدِمَ إِلَى حَقْلِهِ وَبُنْدُقِيَّتُهُ عَلَى كَتِفِهِ، وَٱنْتَظَرَ بِفَارِغِ صَبْرٍ غُرُوبَ ٱلشَّمْسِ. وَمَا أَنْ أَظْلَمَ ٱللَّيْلُ ، حَتَّى ٱخْتَبَأَ خَلْفَ نَخْلَةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ ٱلْبِطِّيخِ . وَبَقِيَ سَاهِرًا مُتَيَقِّظًا حَذِرًا. مُنْتَبِهًا لِكُلِّ حَرَكَةٍ. فَلَمَّا ٱنْقَضَى مِنَ ٱللَّيْلِ أَكْثَرُهُ. أَبْصَرَ شَبَحَ ذِئْبٍ، يَتَّجِهُ نَحْوَ ٱلْبِطِّيخِ. وَقَدِ ٱنْبَعَثَ مِنْ عَيْنَيْهِ بَرِيقٌ يُضِيءُ فِي ٱلظَّلَامِ. فَسَدَّدَ ٱلسَّلَّامِي بُنْدُقِيَّتَهُ نَحْوَ ذَلِكَ ٱلنُّورِ ٱلصَّادِرِ مِنَ ٱلْعَيْنَيْنِ ٱلْبَرَّاقَتَيْنِ، ثُمَّ أَطْلَقَ ٱلنَّارَ، فَأَصَابَ ٱلْمَرْمَى. وَخَرَّ ٱلذِّئْبُ صَرِيعًا، يَتَخَبَّطُ فِي دِمَائِهِ. وَتَلَتْهُ ذِئَابٌ ثَلَاثَةٌ أُخْرَى، قَدِمَتْ لِتَأْكُلَ. فَلَقِيَتْ حَتْفَهَا كَمَا لَقِيَ. وَكَانَ نَصِيبُ ٱللَّيْلَةِ ٱلثَّانِيَةِ ثَلَاثَةً فَقَطْ، جُنْدِلَتْ بِالطَّرِيقَةِ نَفْسِهَا. أَمَّا ٱللَّيْلَةُ ٱلثَّالِثَةُ فَإِنَّهُ لَمْ يُطْلِقْ فِيهَا ٱلنَّارَ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً ، صَرَعَ فِيهَا ذِئْبًا، وَفَرَّ ٱلَّذِي كَانَ يُرَافِقُهُ. وَتَهَيَّأَ ٱلسَّلَّامِي أَثْنَاءَ ٱللَّيْلَةِ ٱلرَّابِعَةِ كَعَادَتِهِ. وَبَقِيَ سَاهِرًا طِيلَةَ ٱللَّيْلِ، مُتَحَذِّرًا مُسْتَعِدًّا. وَلَكِنَّ ٱلصُّبْحَ ٱنْبَلَجَ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ ٱلْهَوَاءُ رَنَّاتِ صَوْتِ ٱلْمُؤَذِّنِ. تَتَمَوَّجُ فِي ذَلِكَ ٱلْفَجْرِ « ٱللَّهُ أَكْبَرُ... ٱللَّهُ أَكْبَرُ... » فَفَرِحَ، وَٱعْتَقَدَ أَنَّهُ أَفْنَى ٱلذِّئَابَ، وَٱسْتَرَاحَ مِنْ شَرِّهَا وَبَلَائِهَا. وَعِنْدَمَا أَسْفَرَ ٱلصُّبْحُ، وَٱنْتَشَرَ ٱلنُّورُ. ذَهَبَ يَتَفَقَّدُ ٱلْحَقْلَ.. وَكَمْ كَانَ تَعَجُّبُهُ عَظِيمًا، وَغَيْظُهُ كَبِيرًا، عِنْدَمَا عَثَرَ عَلَى آثَارِ ذِئْبٍ، وَاضِحَةً فَوْقَ تُرَابِ ٱلْحَقْلِ، تَدُلُّ عَلَى أَنَّ ٱلذِّئْبَ دَخَلَ.. وَأَكَلَ.. ثُمَّ رَجَعَ سَالِمًا.. وَإِنَّ ٱلسَّلَّامِي، رَغْمَ يَقَظَتِهِ.. وَٱنْتِبَاهِهِ، وَسَهَرِهِ ٱللَّيْلَ ٱلطَّوِيلَ، لَمْ يُشَاهِدْهُ.. لَا عِنْدَ دُخُولِهِ.. وَلَا أَثْنَاءَ وُجُودِهِ بِالْحَقْلِ... وَأَكْلِهِ لِلْبِطِّيخِ... وَلَا عِنْدَ خُرُوجِهِ...؟

ٱحْتَارَ ٱلسَّلاَّمِي فِي ٱلْأَمْرِ. وَلَمْ يَجِدْ تَعْلِيلاً مَعْقُولاً لِدُخُولِ ٱلذِّئْبِ لِلْحَقْلِ، ثُمَّ خُرُوجِهِ مِنْهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَاهُ.. ٱللَّهُمَّ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ قَدِ ٱسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ سِنَةٌ مِنَ ٱلنَّوْمِ. فَأَغْفَى إِغْفَاءَةً لاَ يَدْرِي أَطَالَتْ أَمْ قَصُرَتْ..وثبتَ لَدَيْهِ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ ٱلتَّفْسِيرُ ٱلْمَقْبُولُ لِمَا حَدَثَ. وَخَوْفًا مِنْ أَنْ يَتَكَرَّر



ٱلْأَمْرُ، نَامَ نَوْمًا عَمِيقًا أَغْلَبَ ٱلنَّهَارِ. ٱسْتِعْدَادًا لِلسَّهَرِ فِي ٱللَّيْلَةِ ٱلْمُقْبِلَةِ. وَقَضَى بَقِيَّةَ ٱلنَّهَارِ عَلَى أَحَرَّ مِنَ ٱلْجَمْرِ. يَنْتَظِرُ حُلُولَ ٱللَّيْلِ بِصَبْرٍ فَارِغٍ. حَتَّى يَنْتَقِمَ مِنْ هَذَا ٱلذِّئْبِ ٱلَّذِي ٱسْتَبْلَهَهُ. فَدَخَلَ ٱلْحَقْلَ، وَأَكَلَ كِفَايَتَهُ مِنَ ٱلْبِطِّيخِ، وَهُوَ لاَ يَرَاهُ، وَلاَ يَسْمَعُ لَهُ حِسًّا. وَأَخِيرًا جَاءَ ٱللَّيْلُ... فَأَمْسَكَ بُنْدُقِيَّتَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَجَلَسَ مُتَحَفِّزًا مُتَرَقِّبًا. لاَ تَفُوتُهُ أَيَّةُ حَرَكَةٍ. وَلاَ يَغْفُلُ طَرْفَةَ عَيْنٍ. وَكَانَ يَنْتَظِرُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ أَنْ يَرَى بَرِيقَ عَيْنَيْ ٱلذِّئْبِ يَلُوحُ لِعَيْنَيْهِ.

وَٱنْقَضَى ٱللَّيْلُ، بَطِيئًا، ثَقِيلاً. وَٱلسَّلاَّمِي صَابِرٌ، مُنْتَظِرٌ..

وَلَمَّا تَرَاءَتِ ٱلْوُجُوهُ. وَٱنْتَشَرَتْ أَشِعَّةُ ٱلْفَجْرِ ٱلْأُولَى، ٱطْمَأَنَّ بَالُهُ بَعْضَ ٱلشَّيْءِ. فَقَدْ كَانَ مُوقِنًا، مُتَحَقِّقًا أَنَّهُ لَمْ يُبْصِرْ شَيْئًا مُرِيبًا طِيلَةَ ٱللَّيْلِ. وَهُوَ مُتَأَكِّدٌ أَنَّهُ لَمْ يَنَمْ وَلَوْ لَحْظَةً وَاحِدَةً. وَلِكَيْ يَطْمَئِنَّ بَالُهُ، ذَهَبَ يَجُولُ فِي ٱلْبِطِّيخِ... فَمَا رَاعَهُ إِلاَّ أَنْ وَجَدَ ٱلْآثَارَ بَيِّنَةً، وَٱلْبِطِّيخَ مَأْكُولاً... وَكَادَ ٱلتَّعِسُ أَنْ يَنْشَقَّ غَضَبًا، وَقَهْرًا. فَلَمْ يَدْرِ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي هَذَا ٱلذِّئْبُ، وَلاَ كَيْفَ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ. وَأَمْضَى نَهَارًا طَوِيلاً جِدًّا، وَهُوَ لاَ يَقِرُّ لَهُ قَرَارٌ وَلاَ يَهْدَأُ لَهُ بَالٌ، وَلاَ يَسْتَقِرُّ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، مِنْ فَرْطِ ٱلاهْتِيَاجِ وَٱلْانْفِعَالِ وَلَقَدْ صَارَ يَتَحَدَّثُ إِلَى نَفْسِهِ، وَيَهْذِي كَمَنْ أُصِيبَ بِمَسٍّ مِنَ ٱلْجُنُونِ. وَمَا ٱنْفَكَّ يَقُولُ :

– «أَنَا مُتَأَكِّدٌ تَأَكُّدًا لاَ يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ رَيْبٌ، وَلاَ يَعْتَرِيهِ شَكٌّ. وَمُعْتَقِدٌ ٱعْتِقَادًا رَاسِخًا، بِأَنَّ ٱلنَّوْمَ لَمْ يُدَاعِبْ جَفْنَيَّ ٱللَّيْلَةَ كُلَّهَا. وَبِأَنِّي لَمْ أَغْفَلْ

دَقِيقَةً وَاحِدَةً عَنِ ٱلْحِرَاسَةِ. كَمَا أَنِّي لَمْ أُشَاهِدْ أَيَّ نُورٍ يَلُوحُ خِلاَلَ ٱلظَّلاَمِ وَمَعَ ذَلِكَ، فَمِنَ ٱلثَّابِتِ ٱلْمُؤَكَّدِ أَيْضًا، أَنَّ ٱلذِّئْبَ قَدْ دَخَلَ .. وَأَكَلَ .. ثُمَّ ٱنْصَرَفَ بَعْدَ أَنْ شَبِعَ ... وَكُلُّ ذَلِكَ تَحْتَ سَمْعِي وَبَصَرِي... فَلَمْ أَرَهُ وَلَمْ أَشْعُرْ بِهِ ... وَٱللَّهِ ... إِنِّي لَفِي أَشَدِّ ٱلْحَيْرَةِ، وَفِي بَلْبَلَةٍ فِكْرِيَّةٍ سَتُؤَدِّي بِي - إِنْ دَامَتْ - إِلَى ٱلْجُنُونِ. لاَ مَحَالَةَ. »

وَغَرُبَتِ ٱلشَّمْسُ. وَجَنَّ ٱلظَّلاَمُ. فَتَزَوَّدَ بِمِصْبَاحٍ كَهْرُبَائِيٍّ، يَدَوِيٍّ. وَأَعَدَّ سِلاَحَهُ وَكَمَنَ فِي مَخْبَئِهِ. وَلِكَيْ لاَ تَفُوتَهُ أَيَّةُ حَرَكَةٍ، وَيَرَى كُلَّ شَبَحٍ يَدِبُّ عَلَى وَجْهِ ٱلثَّرَى. ٱنْبَطَحَ عَلَى بَطْنِهِ. وَٱنْتَبَهَ كُلَّ ٱلانْتِبَاهِ. وَبَقِيَ ٱللَّيْلَ كُلَّهُ. مُرْهِفًا سَمْعَهُ لِكُلِّ حَرَكَةٍ، مَفْتُوحَ ٱلْعَيْنَيْنِ، حَذِرًا، يَقِظًا، مُسْتَعِدًّا.

وَقَبْلَ أَنْ يَنْبَلِجَ ٱلنُّورُ. وَيُسْفِرَ ٱلصُّبْحُ بِقَلِيلٍ، شَاهَدَ شَبَحًا يَتَّجِهُ نَحْوَ ٱلْبِطِّيخِ. وَهُوَ يَمْشِي خَطْوَةً. ثُمَّ يَقِفُ فَيَتَنَصَّتُ، ثُمَّ يُعَاوِدُ ٱلسَّيْرَ بِغَايَةِ ٱلْحَذَرِ. وَٱعْتَقَدَ ٱلسَّلاَّمِي أَنَّهُ ذِئْبٌ. ثُمَّ ٱعْتَرَاهُ ٱلشَّكُّ، إِذْ أَنَّهُ لَمْ يُبْصِرْ نُورًا يَصْدُرُ مِنْ عَيْنَيْهِ، وَعَهْدُهُ بِالذِّئَابِ أَنَّ أَعْيُنَهَا يَنْبَعِثُ مِنْهَا بَرِيقٌ فِي ٱلظَّلاَمِ. وَلِكَيْ يَتَعَرَّفَ عَلَى حَقِيقَةِ هَذَا ٱلشَّبَحِ. أَضَاءَ ٱلْمِصْبَاحَ ٱلْكَهْرُبَائِيَّ، وَأَرْسَلَ نُورَهُ فِي ٱتِّجَاهِهِ. فَرَأَى ذِئْبًا أَغْبَرَ، يَتَقَدَّمُ نَحْوَ ٱلْبِطِّيخِ، وَهُوَ مُغْمَضُ ٱلْعَيْنَيْنِ. فَأَلْقَى ٱلْمِصْبَاحَ عَجِلاً، وَوَجَّهَ نَحْوَهُ ٱلْبُنْدُقِيَّةَ. ثُمَّ أَطْلَقَ ٱلنَّارَ. بَيْدَ أَنَّهُ أَخْطَأَ ٱلْمَرْمَى. فَقَدْ فَرَّ ٱلذِّئْبُ عِنْدَمَا لاَحَ لَهُ ٱلنُّورُ مِنَ ٱلْمِصْبَاحِ تَأَسَّفَ ٱلسَّلاَّمِي لِنَجَاةِ ٱلذِّئْبِ. مِثْلَمَا نَدِمَ عَلَى ٱسْتِعْمَالِهِ لِلْمِصْبَاحِ.

وَعَدَمِ إِطْلَاقِهِ ٱلنَّارَ عَلَى ٱلشَّبَحِ بِمُجَرَّدِ رُؤْيَتِهِ لَهُ. إِلَّا أَنَّ أَسَفَهُ قَدْ شَابَهُ بَعْضُ ٱلاطمِئْنَانِ وَهُدُوءِ ٱلْبَالِ. لِأَنَّهُ قَدْ عَرَفَ حِيلَةَ ٱلذِّئْبِ ٱلَّتِي كَانَ يَسْتَعْمِلُهَا أَثْنَاءَ دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ: فَإِنَّهُ عِنْدَمَا أَضَاءَ نُورَ ٱلْمِصْبَاحِ، رَأَى



ٱلذِّئْبَ يَتَقَدَّمُ، وَعَيْنَاهُ مُغْمَضَتَانِ... وَتِلْكَ هِيَ ٱلْحِيلَةُ ٱلَّتِي لَجَأَ إِلَيْهَا ٱلذِّئْبُ. فَقَدْ عَلِمَ أَنَّ ٱلْخَطَرَ يَأْتِيهِ مِنَ ٱلنُّورِ ٱلْمُنْبَعِثِ مِنْ عَيْنَيْهِ. وَلِذَلِكَ كَانَ يُغْلِقُهُمَا عِنْدَ دُخُولِهِ. ثُمَّ يَقْصِدُ مَوْضِعَ ٱلْبِطِّيخِ، مُسْتَعِينًا عَلَى مَعْرِفَةِ مَكَانِهِ، بِالرَّائِحَةِ ٱلَّتِي تَصْدُرُ مِنْهُ، وَٱلَّتِي كَانَ يَتَتَبَّعُهَا بِحَاسَّةِ ٱلشَّمِّ ٱلْقَوِيَّةِ

عِنْدَهُ. وَمَا أَنْ يَصِلَ إلَى أَقْرَبِ بِطِّيخَةٍ نَاضِجَةٍ. حَتَّى يَتَمَدَّدَ حِذْوَهَا. ثُمَّ يَأْخُذُ فِي أَكْلِهَا، بِحَذَرٍ مُتَنَاهٍ. إلَى أَنْ يُشْبِعَ جُوعَهُ. ثُمَّ يَنْصَرِفُ بِمِثْلِ ٱلْحَذَرِ ٱلَّذِي دَخَلَ بِهِ. وَهَكَذَا لَمْ يَكُنِ ٱلسَّلاَّمِي يَرَاهُ، لِشِدَّةِ ٱلظَّلاَمِ مِنْ جِهَةٍ، وَلِأَنَّهُ كَانَ يَتَرَقَّبُ مُشَاهَدَةَ ٱلنُّورِ ٱلَّذِي يُشِعُّ مِن عَيْنَيْهِ، مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ. فَلَمَّا أَغْمَضَ ٱلذِّئْبُ عَيْنَيْهِ لَمْ تَتَيَسَّرْ لَهُ مُشَاهَدَتُهُ.

ٱسْتَغْرَبَ ٱلسَّلاَّمِي صَنِيعَ ٱلذِّئْبِ ٱلْأَغْبَرِ، وَتَعَجَّبَ مِنْ ذَكَائِهِ ٱلْغَرِيبِ، وَفِطْنَتِهِ ٱلْوَقَّادَةِ، ٱلَّتِي مَكَّنَتْهُ مِنْ تَجَنُّبِ مَوَاقِعِ ٱلْخَطَرِ، وَٱتِّقَاءِ أَسْبَابِ ٱلرَّدَى وَٱلْهَلاَكِ، بِمِثْلِ هَذِهِ ٱلْوَسِيلَةِ ٱلَّتِي قَلَّ أَنْ تَخْطُرَ عَلَى بَالِ بَشَرٍ، فَضْلاً عَنْ حَيَوَانٍ. وَقَدِ ٱعْتَبَرَ ٱلسَّلاَّمِي بِمَا حَدَثَ لَهُ. وَعَزَمَ عَلَى أَنْ لاَ يُضَيِّعَ ٱلْفُرْصَةَ إنْ سَنَحَتْ لَهُ مَرَّةً ثَانِيَةً، فِي ٱلتَّأَمُّلِ وَٱلتَّثَبُّتِ. وَقَضَى لَيْلَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ فِي ٱنْتِبَاهٍ وَتَيَقُّظٍ تَامَّيْنِ. وَهُوَ عَازِمٌ عَلَى أَنْ يُطْلِقَ ٱلنَّارَ عَلَى ٱلذِّئْبِ بِمُجَرَّدِ رُؤْيَتِهِ لَهُ. غَيْرَ أَنَّ ٱلذِّئْبَ لَمْ يَعُدْ يَأْتِي إلَى ٱلْحَقْلِ لَيْلاً. لِأَنَّ ٱلْهِلاَلَ ٱلَّذِي كَانَ ضَعِيفاً صَارَ بَدْراً كَامِلاً يُرْسِلُ نُوراً سَاطِعاً، يَفْضَحُهُ، وَيُعَرِّضُ حَيَاتَهُ لِلْخَطَرِ. وَصَارَ يَأْتِيهِ نَهَاراً عِنْدَ ٱشْتِدَادِ ٱلْهَاجِرَةِ، وَٱحْتِدَامِ ٱلْحَرَارَةِ، وَهُوَ ٱلْوَقْتُ ٱلَّذِي يَقْضِيهِ ٱلسَّلاَّمِي نَائِماً فِي مَنْزِلِهِ بِالْقَرْيَةِ. أَوْ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ بِحَقْلِهِ. فَلَمَّا يَئِسَ مِنْ قُدُومِ ٱلذِّئْبِ قَرَّرَ أَنْ يَسْلُكَ طَرِيقَةً أُخْرَى فِي مُكَافَحَتِهِ لَهُ.

من فوق ٱلسِّيَاجِ

عَزَمَ ٱلسَّلاَّمِي عَلَى أَنْ يُحِيطَ حَقْلَهُ بِسِيَاجٍ مِنْ (جَرِيدِ ٱلنَّخْلِ). عساه

يحْميهِ مِنَ ٱلذِّئَابِ، وَخَاصَّةً ٱلذئْبِ ٱلْأَغْبَرِ. وَلَمَّا كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤَخِّرُونَ عَمَلَ ٱلْيَوْمِ إِلَى ٱلْغَدِ، فَإِنَّهُ شَرَعَ فِي تَنْفِيذِ فِكْرَتِهِ حَالاًّ. فَاسْتَعَانَ بِعَدَدٍ كَبِيرٍ مِنْ أَقَارِبِهِ وَأَصْدِقَائِهِ ٱلَّذِينَ «تَعَاضَدُوا» مَعَهُ. وَكَانُوا خَيْرَ مُعِينٍ لَهُ عَلَى إِنْجَازِ عَمَلِهِ بِسُرْعَةٍ، وعَلَى ٱلْوَجْهِ ٱلَّذِي رَغِبَ فِيهِ. وَمَا تَمَّ لَهُمْ ذَلِكَ إِلاَّ بِفَضْلِ تَعَاضُدِهِمْ وَتَعَاوُنِهِمْ، ٱلَّذِي مَكَّنَهُمْ مِنْ صُنْعِ ٱلسِّيَاجِ فِي وَقْتٍ قَصِيرٍ جِدًّا، مَا كَانَ ٱلسَّلاَّمِي بِمُسْتَطِيعٍ صُنْعَهُ فِيهِ لَوْ أَنَّهُ أَقَامَهُ بِمُفْرَدِهِ. إِذْ سَوْفَ يَسْتَغْرِقُ مِنْ وَقْتِهِ أَيَّامًا طِوَالاً، بَلْ أَشْهُرًا عَدِيدَةً. ثُمَّ أَنَّهُ قَدْ لاَ يَبْلُغُ مِنَ ٱلاتْقَانِ مَا بَلَغَهُ ٱلسُّورُ ٱلَّذِي بَنَاهُ ٱلْمُتَعَاضِدُونَ مَعَهُ، فَقَدْ كَانَ آيَةً فِي ٱلدِّقَّةِ وَإِحْكَامِ ٱلصُّنْعِ. فَهْوَ مُرْتَفِعٌ، مُتَلاَحِمٌ، مُثَبَّتٌ بِأَوْتَادٍ مُتَقَارِبَةٍ، مُسَلْسَلٌ بِخُيُوطٍ مِنَ ٱلْحَلْفَاءِ. لَيْسَتْ بِهِ فَجْوَةٌ أَوْ ثُغْرَةٌ يُمْكِنُ لِلذِّئَابِ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ ٱلْحَيَوَانَاتِ، ٱلتَّسَلُّلُ مِنْهَا. وَصَنَعُوا لَهُ بَابًا مِنَ (ٱلْجَرِيدِ) يَدْخُلُ مِنْهُ ٱلسَّلاَّمِي وَيَخْرُجُ. وَيُغْلِقُهُ عِنْدَمَا يُغَادِرُهُ. فَيَكُونُ حَقْلُهُ مَصُونًا وَلَوْ كَانَ غَيْرَ مَوْجُودٍ هُنَاكَ.

بَاتَ ٱلسَّلاَّمِي لَيْلَةَ ٱنْتِهَاءِ صُنْعِ ٱلسِّيَاجِ فِي مَنْزِلِهِ، وَهْوَ هَادِئُ ٱلْبَالِ، مُطْمَئِنُّ ٱلْخَاطِرِ. إِذِ ٱعْتَقَدَ أَنَّهُ سَلِمَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ٱلذِّئَابِ، بِمَا فِيهَا ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ، ٱلَّذِي أَتَى بِحِيلَةٍ مَاكَانَتْ لِتَخْطُرَ عَلَى بَالِ بَشَرٍ. وَٱسْتَفَاقَ مُبَكِّرًا، كَعَادَتِهِ، وَبَعْدَ أَنْ صَلَّى ٱلصُّبْحَ فِي ٱلْمَسْجِدِ، حَمَلَ مِسْحَاتَهُ، وَٱمْتَطَى حِمَارَهُ. ثُمَّ تَوَجَّهَ نَحْوَ ضَيْعَتِهِ، وَهْوَ يَسِيرُ عَلَى مَهْلٍ، وَحَلَّ بِالْحَقْلِ. فَجَالَ فِيهِ جَوْلَةً. فَأَدْهَشَهُ أَنْ يَرَى آثَارَ أَقْدَامٍ فِي ٱلْأَرْضِ، تَتَحَدَّاهُ، وَتُنَبِّئُهُ بِأَنَّ

ٱلذِّئبَ دَخلَ ٱلْحقلَ . وَأكلَ حتَّى شَبِعَ، ثُمَّ رَجَعَ أَدْرَاجَهُ سَالِمًا . فَبَحَثَ طَوِيلاً عَنِ ٱلْمكَانِ ٱلَّذِي وَلَجَ مِنْهُ ٱلذِّئْبُ . فَلَمْ يَعْثُرْ عَلَى مَوْضِعٍ يَصْلُحُ لِذَلِكَ . فَٱلْبَابُ مُغْلَقٌ . وَٱلسُّورُ حَصِينٌ . وَلاَ ثُغْرَةَ فِيهِ تَسْمَحُ بِدُخُولِ أَيِّ ذِئْبٍ مَهْمَا كَانَ نَحِيلاً . وَأَعَادَ ٱلتَّفْتِيشَ وَٱلْبَحْثَ . مَرَّةً ثَانِيَةً، وَثَالِثَةً . عَسَاهُ يَهْتَدِي إِلَى مَعْرِفَةِ ٱلْكَيْفِيَّةِ ٱلَّتِي نَفَذَ بِهَا ٱلذِّئْبُ مِنَ ٱلسُّورِ، بَيْدَ أَنَّهُ، رَغْمًا عَنْ طُولِ بَحْثِهِ وَتَفْكِيرِهِ . لَمْ يُصِبْ وَلَوْ أَثَرًا وَاحِدًا يَهْدِيهِ إِلَى ٱلصَّوَابِ، وَيُخْرِجُهُ مِنْ حَيْرَتِهِ، وَيَدُلُّهُ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ٱلَّتِي سَلَكَهَا ٱلذِّئْبُ فِي دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ . وَقَضَى يَوْمَيْنِ كَامِلَيْنِ وَهُوَ فِي أَشَدِّ حَالاَتِ ٱلْهَمِّ وَٱلْغَمِّ، يَبْحَثُ، وَيُفَتِّشُ، وَيُنَقِّبُ . وَلَكِنْ بِدُونِ طَائِلٍ، وَلاَ جَدْوَى . وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثِ، بَيْنَمَا كَانَ يَمْشِي حِذْوَ سُورِ ٱلْحَقْلِ مِنَ ٱلْخَارِجِ . إِذْ أَبْصَرَ شَجَرَةً كَبِيرَةً، مُتَشَابِكَةَ ٱلْأَغْصَانِ، تَقَعُ بِجَانِبِ ٱلسُّورِ مُبَاشَرَةً، وَتَتَدَلَّى أَغْصَانُهَا فَوْقَ أَرْضِ ٱلْحَقْلِ . فَتَأَمَّلَهَا طَوِيلاً . وَأَثْنَاءَ تَأَمُّلِهِ وَتَفْكِيرِهِ، ٱهْتَدَى إِلَى مَعْرِفَةِ حِيلَةِ ٱلذِّئْبِ، ٱلَّتِي كَانَ يَلِجُ بِهَا ٱلْحَقْلَ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى جَبِينِهِ، وَكَأَنَّهُ يُعَاقِبُ عَقْلَهُ عَلَى عَدَمِ ٱهْتِدَائِهِ لِلصَّوَابِ إِلاَّ فِي تِلْكَ ٱللَّحْظَةِ : لَقَدْ كَانَ ٱلذِّئْبُ يَتَسَلَّقُ ٱلشَّجَرَةَ، وَيَمْشِي فَوْقَ أَغْصَانِهَا ٱلْغِلاَظِ . حَتَّى إِذَا مَا ٱطْمَأَنَّ إِلَى أَنَّهُ صَارَ فَوْقَ ٱلْحَقْلِ . قَفَزَ مِنْ فَوْقِ أَفْنَانِ ٱلشَّجَرَةِ . فَإِذَا هُوَ بِالْأَرْضِ . فَيَذْهَبُ إِلَى حَيْثُ تُوجَدُ ٱلْفَوَاكِهُ . فَيَأْكُلُ مِنْهَا كِفَايَتَهُ . ثُمَّ يُغَادِرُهُ بِالطَّرِيقَةِ عَيْنِهَا . أَيْ أَنَّهُ يَرْتَقِي شَجَرَةً دَاخِلَ ٱلْحَقْلِ . وَمِنْ أَغْصَانِهَا يَثِبُ إِلَى خَارِجِهِ وَلِكَيْ يَتَأَكَّدَ ٱلسَّلاَّمِي مِنْ صِحَّةِ مَا ٱسْتَنْتَجَهُ . وَصَوَابِ مَا ٱهْتَدَى إِلَيْهِ .



بَادَرَ بالدُّخُولِ إلى الضَّيْعَةِ، وتَفَرَّسَ فِي ٱلْأَرْضِ، تَحْتَ ٱلْأَغْصَانِ ٱلْمُتَهَدِّلَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ. فوجَدَ آثَارَ وُقُوعِ ٱلذِّئْبِ فَوْقَ ٱلْأَرْضِ وَاضِحةً جَلِيَّةً.

وَٱلْآنَ، وَقَدْ عَرَفَ مِنْ أَيْنَ يَأتِيهِ ٱلْبَلَاءُ، فَإِنَّهُ شَرَعَ يُفَكِّرُ فِي وَسِيلَةٍ يَحْسِمُ بِهَا هَذَا ٱلدَّاءَ. فَلَمْ يجِدْ خَيْرًا مِنْ قَطْعِ ٱلشَّجرةِ ٱلَّتِي جعَلَهَا ٱلذِّئْبُ مَدْخَلاً لِلْحَقْلِ. فحمل فأسَهُ، وَذَهَبَ إِلَى تِلْكَ ٱلشَّجَرةِ، فَاجْتَثَّهَا مِنْ عُرُوقِهَا ثُمَّ جرَّهَا، وأَلْقَاها بعِيدًا عَنِ ٱلسِّيَاجِ. وَحِينَمَا ٱنْتهى مِنْ عملِهِ ٱلْمُرْهِقِ ٱلَّذِي تركَهُ يَتصبَّبُ عرَقًا، تَنَفَّسَ ٱلصُّعَدَاءَ، ثُمَّ قَالَ وهوَ يَجْلِسُ عَلَى ٱلْأَرْضِ، لِيَسْترِيحَ بُرْهَةً :

« ٱلْآنَ لَمْ يَعُدْ لِلذِّئْبِ منفذٌ يَدْخُلُ مِنْهُ »

ورجَعَ إِلَى دارِهِ بِالْقَرْيَةِ، وَيَقِينُهُ رَاسِخٌ أَنَّهُ سوْفَ لاَ يَجِدُ آثارَ ٱلذِّئْبِ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلْمُوَالِي.

ٱختراق ٱلسِّيَاج

جَاءَ ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ إِلَى ٱلْحقْلِ كَدَأبِهِ مُنْذُ مُدَّةٍ. وَقَصَدَ إِلَى ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي تُوجَدُ فِيهِ ٱلشَّجَرةُ. فألْفَاهَا مَقْطُوعَةً، وَمُلْقَاةً عَلَى ٱلْأَرْضِ بَعِيدًا عنِ ٱلسِّيَاجِ. فَدارَ حَوْلَ ٱلسورِ عَلَّهُ يجِدُ منْفَذًا يَلِجُ مِنْهُ. فَلَمَّا لَمْ يَهْتَدِ إِلَى بُغْيَتِهِ شَرَعَ يحْفرُ (ٱلطَّابِيَه) تَحْتَ أُصُولِ ٱلْجَرِيدِ. وعِنْدمَا ٱنْكشفَتْ لَهُ تِلْكَ ٱلْأُصُولُ، أَمْسَكَ وَاحِدًا مِنْهَا بِأسْنانِهِ، ثُمَّ جَذَبَهُ بِكُلِّ مَا فِي، فَكَّيْهِ مِنْ قُوَّةٍ. حَتَّى ٱسْتطَاعَ أَنْ يَسُلَّهُ مِنْ بيْنِ (جَرِيدِ) ٱلسِّيَاجِ. ثُمَّ ٱنْتزَعَ جَرِيدةً ثانِيَّةً، وثَالِثَةً، وَرابِعَةً. وبِذَلِكَ ٱسْتَطَاعَ أَنْ يُدْخِلَ رأسَهُ مِنَ ٱلسُّورِ،

ثم مرق ببدنه كله، ودخل الحقل. فاكل ما اكل، ثم خرج من ٱلثغرة ٱلتي فتحها آنفـا.

نهض ٱلسلامي من نومه في ٱلسحر. وقصد ضيعته عندما ٱنتشر ٱلنور فوصلها حالما بزغت ٱلشمس. وتفقد ٱلحقل. فوجد ٱلذئب قد دخل، وعاث في ٱلبطيخ فسادا .وتتبع ٱلآثار، فوجدها تبتدئ من ٱلسور، وإليه تعود لتنتهي عنده. ونظر إلى (ٱلطابيه)، فشاهد ٱلثغرة وعرف ما قام به ٱلذئب من عمل ليدخل. فاستشاط غضبا وغيظا، وقال :

– « لا فائدة... لا فائدة... يجب أن أقضي ٱلليل بالحقل، لأتمكن من حراسته بنفسي. فأنقذ ثماري وغلالي من شر هذا ٱلذئب ٱلخبيث، وإلا لم يترك لي شيئا . »

لم يسد ٱلسلامي ٱلثغرة. بل تركها مفتوحة كما أصابها. وذلك ليعيد ٱلذئب ٱلدخول منها، فيسهل عليه ٱقتناصه. وقضى جل يومه يعمل بجد وٱجتهاد. وعند ٱلأصيل ذهب إلى ٱلقرية، فتسلح ببندقيته. وحمل عشاءه معه .ثم كر راجعا إلى حقله. وما أن مالت ٱلشمس للمغيب حتى ٱختار مكمنا ٱختبأ فيه. وبقي ساهرا، يقظا، منتبها لكل حركة... ومر أكثر ٱلليل. ثم سمع حركة (ٱلجريد)، عندما كان ٱلذئب يحاول ٱلدخول من ٱلثقبة ٱلتي سبق له أن أحدثها بالسياج. ولم يصبر ٱلسلامي حتى يصير ٱلذئب داخل ٱلسور. فتمكن له إصابته بيسر، بل برز من مكمنه، وٱقترب

منَ ٱلسِّيَاجِ. لِيَتمكَّنَ مِنْ إصابَةِ ٱلْهَدَفِ، وَٱلْقضَاءِ عَلَى ٱلذِّئْبِ ٱلَّذي أَتْعَبَهُ، وأثْناءَ سيْرِهِ فِي ٱلظَّلامِ ٱلْحَالِكِ، عَثَرَ فِي كُومَةٍ مِنَ ٱلْحَطبِ ٱلْجَافِّ. فَأحْدَثَ وَطْؤُهُ للخشَبِ صَوْتًا خافتًا. ولَكِنَّ ٱلذِّئْبَ تَمكَّنَ مِنْ سَماعِهِ كمَا أَنَّ ٱلنَّسيمَ حَمَلَ إِلَيْهِ رَائحَةَ ٱلسَّلاَّمِي فَبَادَرَ بِالْفِرَارِ. وطَالَ تَرَقُّبُ ٱلسَّلاَّمِي لِبُرُوزِ ٱلذِّئْبِ، وَتَنَصَّتَ عَسَاهُ يَسْمَعُ حَرَكَتَهُ مرَّةً ثانيَةً، ولَكِنَّ جُهودَهُ ذَهَبَتْ أَدْرَاجَ ٱلرِّيَاحِ. فَقَدْ نَجَا صاحِبُهُ، وَرَجَعَ إِلَى وِجَارِهِ قَانِعًا مِنَ ٱلْغَنيمَةِ بِالإِيَّابِ.

وَفِي ٱللَّيْلَةِ ٱلْمُوَالِيَّةِ، ٱسْتَعَدَّ ٱلسَّلاَّمِي ٱسْتِعْدَادًا كَامِلاً. ولَكِنَّهُ قَضَى لَيْلَهُ دُونَ أَنْ يَسْمَعَ حرَكَةً، أَوْ يبْصِرَ شَبَحًا. وَعِنْدَمَا أَضَاءَ ٱلْفَجْرُ ٱلْكَوْنَ بنُورِهِ، وَيَئِسَ ٱلسَّلاَّمِي مِنْ قُدُومِ ٱلذِّئْبِ، ٱسْتَلْقَى عَلَى ٱلْأَرْضِ لِيَنَالَ قِسْطًا مِنَ ٱلرَّاحَةِ، بَعْدَ ٱلتَّعَبِ وَٱلسَّهَرِ ٱللَّذَيْنِ نَالاَ مِنْهُ كُلَّ مَنَالٍ، وَأَثَّرَا فِيهِ أَعْظَمَ ٱلتَّأْثِيرِ. فَبِمُجَرَّدِ أَنْ لاَمَسَ جَنْبُهُ ٱلْأَرْضَ، ٱسْتَوْلَى عَلَيْهِ ٱلنُّعَاسُ، وَرَاحَ فِي سُبَاتٍ عَميقٍ... وَكَانَ ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ لَهُ بِالْمِرْصَادِ... إِذْ أَنَّهُ جَاءَ أَثْنَاءَ ٱللَّيْلِ. فَلَمَّا شَاهَدَ يقظَةَ ٱلسَّلاَّمِي ٱلشَّدِيدَةَ، وَعَظِيمَ ٱنْتِبَاهِهِ. حَفَرَ نَفَقًا تَحْتَ آ(الطَّابِيَّه). وَبَقِيَ كَامِنًا يَتَرَقَّبُ غَفْلَةً مِنْ صَاحِبِ **ٱلْحَقْلِ**. وَحَالَمَا أَبْصَرَهُ. وَقَدْ تَمَدَّدَ فِي مَكَانِهِ ثُمَّ سَقَطَتْ بُنْدُقِيَّتُهُ مِنْ يَدَيْهِ. جَازَفَ بِالدُّخُولِ وَجَرَى بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ سُرْعَةٍ، فَاقْتَلَعَ بطِّيخَةً مِنْ جِذْرِهَا. وحَمَلَهَا بَيْنَ أَسْنَانِهِ. ثُمَّ غَادَرَ ٱلْحَقْلَ، وَهْوَ لاَ يَكَادُ يُصَدِّقُ بِالنَّجَاةِ.

ٱنْتَبَهَ ٱلسَّلاَّمِي مِنْ إِغْفَاءَتِهِ عِنْدَمَا بَزَغَتِ ٱلشَّمْسُ، وَسَقَطَتْ أَشِعَّتُهَا

فَوقَ عَيْنَيْهِ. وَذَهَبَ يَجُولُ خِلاَلَ البِطِّيخِ وَهْوَ مُطْمَئِنٌّ بَيْدَ أَنَّ ٱطْمِئْنَانَهُ ٱنْقَلَبَ إِلَى جَزَعٍ وَٱضْطِرَابٍ عِنْدَمَا رَأَى مَوْضِعَ ٱلْجِذْرِ ٱلَّذِي ٱقْتَلَعَهُ ٱلذِّئْبُ، وَحَمَلَهُ بِمَا فِيهِ مِنْ بِطِّيخٍ. فَارًا بِهِ مِنَ ٱلنَّفَقِ ٱلْجَدِيدِ ٱلَّذِي حَفَرَهُ. وَقَرَّرَ ٱلسَّلاَّمِي أَنْ يَسُدَّ ٱلنَّفَقَ. وَأَنْ يَقْضِيَ ٱللَّيْلَةَ ٱلْقَادِمَةَ حَوْلَ ٱلسُّورِ مُبَاشَرَةً حَتَّى إِذَا بَدَأَ ٱلذِّئْبُ فِي ٱلْحَفْرِ، تَفَطَّنَ إِلَيْهِ، وَقَضَى عَلَيْهِ. وَفِعْلاً سَدَّ ٱلنَّفَقَ وَشَدَّدَ ٱلْحِرَاسَةَ لَيْلاً، وَجَاءَ ٱلذِّئْبُ. وَشَرَعَ يَحْفِرُ نَفَقًا جَدِيدًا، عِنْدَمَا أَلْفَى ٱلأَوَّلَ مَسْدُودًا، فَسَمِعَ ٱلسَّلاَّمِي حَرَكَتَهُ، وَعَرَفَ مَكَانَهُ. فَلَمْ يَلْبَثْ بِمَوْضِعِهِ حَتَّى يُتِمَّ ٱلذِّئْبُ ٱلْحَفْرَ، وَيَدْخُلَ ٱلْحَقْلَ، فَيُمْكِنُهُ ٱصْطِيَادُهُ بِأَهْوَنِ سَبِيلٍ. بَلْ وَقَفَ. وَمَشَى بِضْعَ خُطُوَاتٍ لِيُطْلِقَ عَلَيْهِ ٱلنَّارَ. أَثْنَاءَ ٱشْتِغَالِهِ عَنْهُ بِالْحَفْرِ. وَلَكِنَّ ٱلذِّئْبَ أَبْصَرَهُ، وَسَمِعَ حَرَكَتَهُ. فَتَرَكَ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ عَمَلٍ، وَفَرَّ هَارِبًا، لاَ يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ. وَبِذَلِكَ نَجَا مِنْ بَلاَءٍ مَاحِقٍ وَمَوْتٍ زُؤَامٍ. وَأَسِفَ ٱلسَّلاَّمِي أَسَفًا بَالِغًا، وَنَدِمَ عَلَى تَسَرُّعِهِ. بَلْ أَنَّهُ عَضَّ عَلَى أَصَابِعِهِ مِنَ ٱلأَسَفِ وَٱلْحَسْرَةِ. وَقَالَ:

– «سَوْفَ أَكُونُ أَكْثَرَ صَبْرًا، وَتَأَنِّيًا فِي ٱلْمَرَّةِ ٱلْقَادِمَةِ.»..

وَبِالْفِعْلِ.. قَضَى ٱللَّيْلَةَ ٱلتَّالِيَةَ بِدُونِ أَنْ يُغَادِرَ مَكَانَهُ، أَوْ يَأْتِيَ بِأَدْنَى حَرَكَةٍ. غَيْرَ أَنَّ ٱلذِّئْبَ لَمْ يَأْتِ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ فَضَاعَتْ جُهُودُ ٱلسَّلاَّمِي هَبَاءً، وَذَهَبَ سَهَرُهُ عَبَثًا.

وَسَلَكَ ٱلسَّلاَّمِي طَرِيقَةً جَدِيدَةً فِي ٱلْحِرَاسَةِ: كَانَ يَتَجَوَّلُ طِيلَةَ ٱللَّيْلِ بِالْحَقْلِ، وَلاَ يَسْتَقِرُّ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ... وَجَاءَ ٱلذِّئْبُ... وَشَاهَدَ صَنِيعَ

ٱلْفَلاَّحِ . فأدْرَكَ مَقْصَدهُ . فَذَهَبَ إِلَى ٱلْجِهَةِ ٱلْمُقَابِلة لِمَوْضِعِ ٱلْبِطِّيخِ مِنْ طَرَفِ ٱلْحَقْلِ ٱلْبَعِيدِ . وَحَرَّكَ (سَعْفَ ٱلْجَرِيدِ) كَأَنَّهُ يُحَاولُ ٱلدُّخُولَ . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلسَّلاَّمِي ٱلْحَرَكَةَ ، برزَ مِنَ ٱلْحَقْلِ . وجرى إِلَى تِلْكَ ٱلنَّاحِيَةِ ، فَلَمْ يجِدِ ٱلذِّئْبَ بِهَا . فَابْتَعَدَ قَلِيلاً يَبْحَثُ عَنْهُ . . فَاغْتَنَمَ هذَا تِلْكَ ٱلْفُرْصَةَ . وَدَخَلَ ٱلْحَقْلَ مِنْ بَابِهِ ، وَقَصَدَ إِلَى حَيْثُ يُوجَدُ ٱلْبِطِّيخُ . فَاخْتَطَفَ وَاحِدَةً . حَمَلَهَا مِنْ جَذْرِهَا . وَكَرَّ رَاجِعًا .

أَمَّا ٱلسَّلاَّمِي ، فَإِنَّهُ لَمَّا لَمْ يُشَاهِدْ شَيْئًا مُرِيبًا ، وَلَمْ يَعْثُرْ لِلذِّئْبِ عَلَى أَثَرٍ ، ٱعْتَقَدَ أَنَّ سَمْعَهُ قَدْ خَدَعَهُ . فَانْثَنَى عَلَى عَقِبَيْهِ وَعَادَ مُسَارِعًا . وَأَثْنَاءَ دُخُولِهِ مِنَ ٱلْبَابِ ، كَانَ ٱلذِّئْبُ قَدْ وَصَلَهُ أَيْضًا ، فَلَمَّا تَقَابَلَتِ ٱلْوُجُوهُ ، لَمْ يَجْبُنِ ٱلذِّئْبُ ، بَلْ أَنَّهُ وَثَبَ أَمَامَ ٱلسَّلاَّمِي ، ٱلَّذِي فُوجِئَ وَبُوغِتَ . فَانْذَعَرَ بِتَأْثِيرِ ٱلْمُفَاجَأَةِ . وَسَقَطَتِ ٱلْبُنْدُقِيَّةُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ . بَيْدَ أَنَّهُ مَا لَبِثَ أَنِ ٱسْتَرَدَّ رَبَاطَةَ جَأْشِهِ بِسُرْعَةٍ ، فَالْتَقَطَ ٱلْبُنْدُقِيَّةَ ، وَأَرَادَ إِطْلاَقَ ٱلنَّارِ عَلَى ٱلذِّئْبِ ، بَيْدَ أَنَّهُ عَدَلَ عَنْ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ كَانَ قَدِ ٱخْتَفَى وَرَاءَ أَشْجَارٍ شَوْكِيَّةٍ مِنَ ٱلسِّدْرِ . فَلَمْ يَعُدْ بِاسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُصِيبَهُ إِنْ هُوَ رَمَاهُ . وَتَحَسَّرَ ، عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ فُرَصٍ وَقَالَ :

ـ « لَقَدْ حَيَّرَنِي هَذَا ٱلذِّئْبُ ٱلْخَبِيثُ . . . ولاَ بُدَّ أَنْ أَسْتَعِينَ بِابْنِي (عَبْدِ ٱللَّهِ) ، عَسَى أَنْ نَتَمَكَّنَ مِنَ ٱلتَّغَلُّبِ عَلَيْهِ . »

رَجُلاَن ضِدّ ذِئْب

غَابَتِ ٱلشَّمْسُ وَرَاءَ ٱلْأُفُقِ ٱلْغَرْبِي . وَلَمْ تُخَلِّفْ وَرَاءَهَا إِلاَّ أَشِعَّةً

أُرْجُوانِيَّةً حَمْرَاءَ، مَا لَبِثَ أَنْ تَغَلَّبَ عليْهَا ٱلظَّلَامُ ٱلزَّاحِفُ، فطَوَاهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهِ. ثُمَّ أَسْدَلَ عليْهَا رِدَاءَهُ ٱلْأَسْوَدَ ٱلْحَالِكَ، فَلَمْ يُبْقِ لَهَا أَثَرًا. غَيْرَ أَنَّ ٱلنَّهَارَ، وَإِنْ فَرَّ مِنَ ٱلْمَيْدَانِ مُنْهَزِمًا أَمَامَ ٱللَّيْلِ إلَّا أَنَّهُ ٱسْتَطَاعَ أَنْ يُبْقِيَ بَعْضَ جُنُودِهِ، لِتُثْبِتَ وُجُودَهُ، بِأَنْوَارٍ مُتَلَأْلِئَةٍ، بَعْثَرَتْ شَمْلَ ٱلظَّلَامِ، وَتَنَاثَرَتْ فِي أَرْجَاءِ ٱلْقُبَّةِ ٱلسَّوْدَاءِ، فَأَمْسَتْ وَكَأَنَّهَا قَنَادِيلُ مشْدُودَةٌ بِخُيُوطٍ لَا تُرَى.

فِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ، لَمْ يَكُنِ ٱلسَّلَّامِي وَحِيدًا. فَقَدْ جَاءَ مَعَهُ ٱبْنُهُ عَبْدُ ٱللَّهِ، لِيَحْرُسَا مَعًا. وَٱسْتَعَدَّ ٱلْأَبُ وَٱبْنُهُ، وَشَدَّدَا ٱلْحِرَاسَةَ. وَأَتَى ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ وَأَبْصَرَ ٱلسَّلَّامِي غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَتَفَطَّنْ لِوُجُودِ عَبْدِ ٱللَّهِ. فَحَرَّكَ ٱلْجَرِيدَ، كَعَادَتِهِ، وَجَرَى نَحْوَ ٱلْبَابِ، فَاخْتَبَأَ فِي حُفَيْرَةٍ قُرْبَهُ. وَبَادَرَ عَبْدُ ٱللَّهِ بِالْخُرُوجِ لِلْبَحْثِ عَنِ ٱلذِّئْبِ. وَبَقِيَ ٱلْأَبُ إِزَاءَ ٱلْبِطِّيخِ، وَإِثْرَ ٱبْتِعَادِ الإِبْنِ عَنِ ٱلْبَابِ، دَخَلَ ٱلذِّئْبُ فَفَرِحَ ٱلسَّلَّامِي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ إِيَّاهُ دَاخِلاً. وَلِعَظِيمِ ابْتِهَاجِهِ ٱضْطَرَبَتْ يَدَاهُ، فَلَمْ يُحْسِنْ تَصْوِيبَ ٱلْبُنْدُقِيَّةِ، وَلَمْ يُصِبِ ٱلذِّئْبَ عِنْدَمَا أَطْلَقَ عَلَيْهِ ٱلرَّصَاصَ. وَأَيْقَنَ ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ بِالْخَطَرِ، فَوَثَبَ وَثَبَاتٍ عَظِيمَةً أَخْرَجَتْهُ مِنَ ٱلْبَابِ، وَأَنْجَتْهُ، وَهْوَ لَا يَكَادُ يُصَدِّقُ بِالنَّجَاةِ.

رَجَعَ عَبْدُ ٱللَّهِ، وَشَاهَدَ مَا حَدَثَ. فَقَالَ لِوَالِدِهِ، وَهْوَ يُسْنِدُ بُنْدُقِيَّتَهُ إِلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ ثُمَّ يَسْتَنِدُ هُوَ أَيْضًا عَلَيْهَا:

– « لَقَدْ تَعَجَّلْتَ يَا أَبَتَاهُ... وَكَانَ عَلَيْكَ أَنْ تَصْبِرَ وَتَتَرَيَّثَ، وَأَنْ تُحْسِنَ ٱلتَّسْدِيدَ حَتَّى لَا تُخْطِئَهُ عِنْدَمَا تُطْلِقُ عَلَيْهِ ٱلنَّارَ. »

فَأَجَابَهُ أَبُوهُ، وَهُوَ يَضَعُ كَفَّيْهِ ٱلْوَاحِدَ فَوْقَ ٱلْآخَرِ سَادًّا بِهِمَا فُوهَةَ بُنْدُقِيَّتِهِ، وَيَنْحَنِي بِظَهْرِهِ قَلِيلاً. ـ

ـ « صَحِيحٌ قَوْلُكَ يَا بُنَيَّ ... وَلَقَدْ تَسَرَّعْتُ لِشِدَّةِ فَرَحِي. عِنْدَمَا أَبْصَرْتُ ٱلذِّئْبَ فِي مُتَنَاوَلِ يَدِي. وَكَانَتْ نَتِيجَةُ تَعَجُّلِي، فِي غَيْرِ صَالِحِي فَقَدْ فَرَّ ٱلذِّئْبُ وَنَجَا. فَبِئْسَ ٱلتَّسَرُّعُ مِنْ طَبْعٍ رَدِيءٍ وَعَادَةٍ مُضِرَّةٍ. وَلَيْسَ مُخْطِئًا مَنْ قَالَ: « فِي ٱلتَّأَنِّي ٱلسَّلَامَةُ، وَفِي ٱلْعَجَلَةِ ٱلنَّدَامَةُ »

قَالَ عَبْدُ ٱللَّهِ، وَهُوَ يَضْرِبُ كَفًّا بِكَفٍّ:

ـ « لَقَدْ قَهَرَنَا هٰذَا ٱلذِّئْبُ ٱلْخَبِيثُ.. وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا يُغْلَبُ، وَلِذٰلِكَ فَلَسْتُ أَرَى نَفْعاً فِي ٱلْحِرَاسَةِ. »

فَأَجَابَهُ وَالِدُهُ وَهُوَ يَضْحَكُ.

ـ « لَقَدْ كُنْتَ. مُنْذُ لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ، تَلُومُنِي عَلَى تَسَرُّعِي. وَعَدَمِ صَبْرِي.. وَهَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيْضًا مُتَسَرِّعٌ. وَعَجُولٌ أَكْثَرَ مِنِّي.. وَإِلَّا.. فَبِمَاذَا تُفَسِّرُ يَأْسَكَ. وَفَشَلَكَ ٱلسَّرِيعَ. ٱلَّذِي بَدَأَ مُنْذُ أَوَّلِ يَوْمٍ تُصَارِعُ فِيهِ ٱلذِّئْبَ ٱلْأَغْبَرَ وَتُقَارِعُهُ؟. وَهَلْ تَرْضَى بِأَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَيْكَ ذِئْبٌ؟ إِنَّهُ مَهْمَا أُوتِيَ مِنَ ٱلذَّكَاءِ وَٱلْفِطْنَةِ، لَنْ يَبْلُغَ إِلَى ذَكَاءِ ٱلإِنْسَانِ. فَٱللَّهُ قَدْ وَهَبَ لِكُلِّ حَيَوَانٍ سِلَاحًا مَادِيًا، يُدَافِعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَيَحْصُلُ بِهِ عَلَى رِزْقِهِ. أَمَّا ٱلإِنْسَانُ فَإِنَّهُ زَوَّدَهُ بِسِلَاحٍ مَعْنَوِيٍّ. خَفِيٍّ، هُوَ أَشَدُّ فَتْكًا مِنْ أَسْلِحَةِ ٱلْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا. وَهٰذَا ٱلسِّلَاحُ هُوَ ٱلْعَقْلُ. ٱلَّذِي كَرَّمَكَ بِهِ رَبُّكَ. وَفَضَّلَكَ بِسَبَبِهِ عَلَى سَائِرِ ٱلْمَخْلُوقَاتِ... فَكَيْفَ تَسْمَحُ لِنَفْسِكَ أَنْ تُفَكِّرَ هٰذَا ٱلتَّفْكِيرَ

وكَيْفَ يُمْكِنُكَ أَنْ تَقُولَ : « غَلَبَنِي ذِئْبٌ... ؟ » -

فَقَالَ عَبْدُ ٱللَّهِ وَقَدِ ٱحْمَرَّ وَجْهُهُ خَجَلاً :

- « هُوَ مَا تَقُولُ يَا أَبَتَاهُ.. وَلَكِنَّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْكَ عَنْ حِيَلِ هَذَا ٱلذِّئْبِ، وَمَا شَاهَدْتُهُ مِنْهُ ٱللَّيْلَةَ، جَعَلَنِي أَتَسَرَّعُ فِي قَوْلِي، وَأُصَابُ بِفَشَلٍ عَاجِلٍ، مَا كُنْتُ أَنَا نَفْسِي لِأَرْضَى عَنْهُ، لَوْ أَنَّنِي فَكَّرْتُ جَيِّدًا فِي قَوْلِي. وَٱلرَّأْيُ رَأْيُكَ ٱلْآنَ.. فَقُلْ لِي كَيْفَ ٱلْعَمَلُ ؟. وَمَاذَا تَنْوِي أَنْ تَصْنَعَ مَعَ ذِئْبِكَ ٱلْخَبِيثِ هَذَا ؟ »

قَالَ ٱلْأَبُ :

- « نَحْنُ قَدْ بَدَأْنَا عَمَلاً. فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُتِمَّهُ، لِأَنَّ ٱلْأَعْمَالَ بِالْخَوَاتِمِ. وَعَدَمُ إِنْهَاءِ ٱلإِنْسَانِ لِعَمَلِهِ ٱلَّذِي بَدَأَهُ، دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِهِ وَعَجْزِهِ. وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ أَصْلاً، خَيْرٌ، عِنْدِي، مِمَّنْ شَرَعَ فِي أَمْرٍ، وَلَمْ يُنْهِهِ. »

فَوَافَقَهُ ٱبْنُهُ عَلَى قَوْلِهِ. ثُمَّ قَالَ :

- « رَأْيُكَ صَائِبٌ، وَحَسَنٌ.. بَيْدَ أَنِّي لَمْ أَعْرِفْ لِحَدِّ ٱلْآنَ كَيْفَ سَنُقَاوِمُ هَذَا ٱلذِّئْبَ ٱلَّذِي حَيَّرَنَا... »

فَقَالَ ٱلسَّلَامِي :

- « نَنْصِبُ لَهُ فَخًّا. وَبِذَلِكَ نَرْتَاحُ مِنَ ٱلْحِرَاسَةِ ٱللَّيْلِيَّةِ ٱلَّتِي أَتْعَبَتْنَا، وَصَيَّرَتْنَا لَا نَقْدِرُ عَلَى ٱلْعَمَلِ نَهَارًا. وَٱلْفَخُّ كَفِيلٌ بِأَنْ يُرِيحَنَا مِنْ شَرِّهِ، إِذْ لَا بُدَّ أَنْ يَغْفُلَ يَوْمًا مِنَ ٱلْأَيَّامِ، وَلَا مَفَرَّ مِنْ أَنْ يُمْسِكَ بِهِ، طَالَ ٱلزَّمَنُ أَوْ قَصُرَ ».

فَقَالَ عَبْدُ ٱللَّهِ :

– « فِكْرَةٌ بَدِيعَةٌ... وَعِنْدَمَا يَقَعُ فِي قَبْضَتِنَا، سَوْفَ أُذِيقُهُ أَلْوَانًا مِنَ ٱلْعَذَابِ، قَبْلَ أَنْ أَقْتُلَهُ. بَلْ، وَ سَأَتَفَنَّنُ فِي تَعْذِيبِهِ، عِقَابًا لَهُ عَلَى مَا أَفْسَدَ لَنَا مِنْ غِلَالٍ، وَمَا أَضَاعَ لَنَا مِنْ وَقْتٍ، وَجُهْدٍ وَمَالٍ. »

فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ :

– « إِنِ ٱسْتَطَعْنَا أَنْ نَقْبِضَ عَلَيْهِ، فَلَنْ أَسْمَحَ لَكَ بِتَعْذِيبِهِ. لِأَنَّ ٱلَّذِي يَنْتَقِمُ مِنَ ٱلْعَاجِزِ، هُوَ أَعْجَزُ مِنْهُ.. هَذَا فَضْلاً عَنْ أَنَّ تَعْذِيبَ ٱلْحَيَوَانِ يَدُلُّ عَلَى قَسْوَةِ ٱلْقَلْبِ، وَٱلتَّوَحُّشِ. وَلَسْتُ أَرْضَى لَكَ بِأَنْ تَكُونَ قَاسِيَ ٱلْقَلْبِ، مُتَوَحِّشًا. »

فَقَالَ عَبْدُ ٱللَّهِ :

– « أَنَا لَسْتُ قَاسِيَ ٱلْقَلْبِ. وَلَكِنَّ ٱلذِّئْبَ أَقْلَقَنَا كَثِيرًا. وَأَضَرَّ بِنَا أَكْثَرَ.. »

فَرَدَّ عَلَيْهِ وَالِدُهُ :

– « إِنَّ ٱلذِّئْبَ غَيْرُ مَلُومٍ.. فَإِنَّهُ يُكَافِحُ فِي سَبِيلِ ٱلتَّحْصِيلِ عَلَى قُوتِهِ.. وَهُوَ مُضْطَرٌّ لِعَمَلِ مَا عَمِلَ. وَلَوْ أَنَّهُ لَمْ يَحْتَلْ عَلَيْنَا، وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْ بَطِّيخِنَا وَغِلَالِنَا، لَمَاتَ جُوعًا... فَالذِّئْبُ، فِي ٱلْحَقِيقَةِ، لَيْسَ ذَنْبُهُ هُوَ... »

فَقَالَ لَهُ ٱبْنُهُ مُحْتَارًا :

– وَكَيْفَ ذَلِكَ... ؟؟ وَإِذَا لَمْ يَكُنِ ٱلذَّنْبُ ذَنْبَهُ هُوَ، فَذَنْبُ مَنْ هُوَ إِذًا ؟

فَأجَابَهُ أَبُوهُ، مُوَضِّحًا لَهُ مَا عَسُرَ عَلَيْهِ فَهْمُهُ :

- « ٱلذَّنْبُ ذَنْبُنَا نَحْنُ مِنْ جِهَةٍ.. وَذَنْبُ ٱلْجَفَافِ وَٱلْأَزْمَةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى. »

لَمْ يَفْهَمْ عَبْدُ ٱللَّهِ كَيْفَ يَكُونُ ٱلذِّئْبُ بَرِيئًا، وَٱلذَّنْبُ ذَنْبَ وَالِدِهِ وَذَنْبُهُ هُوَ أَيْضًا. فَقَالَ :

- « لَمْ أُدْرِكْ مَقْصَدَكَ... فَوَضِّحْ لِي كَلاَمَكَ يَا وَالِدِي.. »

فَأخَذَ ٱلْوَالِدُ يُفَسِّرُ فِكْرَتَهُ لاِبْنِهِ قَائِلاً :

- « أَمَّا ذَنْبُنَا نَحْنُ.. فَلَوْ أَنَّنَا فَكَّرْنَا تَفْكِيرًا سَدِيدًا، صَائِبًا. لَوَجَدْنَا، بِدُونِ مِرَاءٍ، وَسِيلَةً نَتَغَلَّبُ بِهَا عَلَى ٱلذِّئْبِ. أَمَّا ذَنْبُ ٱلْجَفَافِ وَٱلْأَزْمَةِ، فَإِنَّهُمَا ٱلسَّبَبُ فِي ٱنْعِدَامِ ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلْبَرِّيَّةِ ٱلَّتِي ٱعْتَادَ ٱلذِّئْبُ ٱفْتِرَاسَهَا فَلَوْ نَزَلَتِ ٱلْأَمْطَارُ. لَعَمَّ ٱلْخِصْبُ وَٱلرَّخَاءُ، وَلَأَصَابَ كُلُّ مَخْلُوقٍ رِزْقَهُ ٱلَّذِي يَسَّرَهُ ٱللَّهُ لَهُ. وَلَكَانَتِ ٱلْبَرِيَّةُ وَٱلْغَابَاتُ مُمْتَلِئَةً بِٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلَّتِي يَجِدُ فِيهَا ٱلذِّئْبُ خَيْرَ طَعَامٍ لَهُ. وَلَمَا كُنَّا نَرَى لَهُ أَثَرًا... وَهَلْ رَأَيْتَ ٱلذِّئَابَ فِي أَعْوَامِ ٱلْيُسْرِ تَقْتَرِبُ مِنَ ٱلْحُقُولِ. وَتَبْحَثُ عَنْ غِذَائِهَا فِي ٱلْخُضَرِ وَٱلْغِلاَلِ؟ هَذَا مَعَ كَوْنِهَا مِنَ ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلْمُفْتَرِسَةِ ٱلَّتِي تَقْتَاتُ بِٱللُّحُومِ. وَعَلَى كُلٍّ... فَالذِّئْبُ يَحْتَالُ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ، بِالْمِثْلِ، نَحْتَالُ عَلَيْهِ. وَسَنَرَى لِمَنْ تَكُونُ ٱلْغَلَبَةُ فِي ٱلنِّهَايَةِ...)

الذئب والفخاخ

ذَهَبَ عَبْدُ ٱللّٰهِ إِلَى ٱلْقَرْيَةِ، فَاشْتَرَى مِنْ حَدَّادِهَا فَخَّيْنِ، وَأَتَى بِهِمَا إِلَى ٱلْحَقْلِ. فَنَصَبَ هُوَ فَخًّا. وَنَصَبَ وَالِدُهُ ٱلثَّانِي. وَجَعَلاَهُمَا فِي ٱلطَّرِيقِ ٱلَّتِي يَمُرُّ مِنْهَا ٱلذِّئْبُ إِلَى ٱلْبِطِّيخِ. ثُمَّ غَادَرَا ٱلْحَقْلَ، مُتَوَجِّهَيْنِ إِلَى مَنْزِلِهِمَا بِالْقَرْيَةِ. وَهُمَا يُؤَمِّلاَنِ أَنْ يَجِدَا ٱلذِّئْبَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلْمُوَالِي، وَقَدِ ٱنْطَبَقَ أَحَدُ ٱلْفَخَّيْنِ عَلَى عُنُقِهِ. وَأَمْسَكَ بِهِ.

وَأَتَى ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ....

وَسَرَّهُ خُلُوُّ ٱلْحَقْلِ مِنَ ٱلْحُرَّاسِ... وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ تَحَذُّرَهُ. فَعِنْدَمَا رَأَى ٱلتُّرَابَ ٱلْمَحْفُورَ حَدِيثًا، تَوَجَّسَ مِنْهُ خِيفَةً وَٱسْتَنْشَقَ رَائِحَتَهُ ٱلنَّدِيَّةَ فَأَدْرَكَ بِسَجِيَّتِهِ مَا يَكْمُنُ تَحْتَهُ. فَاجْتَنَبَ ٱلْجِهَةَ ٱلَّتِي وُضِعَ بِهَا ٱلْفَخَّانِ. وَوَصَلَ إِلَى ٱلْبِطِّيخِ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى. فَأَكَلَ مِنْهُ مَا أَشْبَعَ جَوْعَهُ، وَأَرْوَى ظَمَأَهُ. ثُمَّ ٱنْطَلَقَ فِي سَبِيلِهِ، وَقَدْ طَعِمَ وَسَلِمَ. وَتَكَرَّرَتِ ٱلْعَمَلِيَّةُ أَيَّامًا مُتَوَالِيَةً. وَٱلذِّئْبُ، فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَتَجَنَّبُ مَوَاقِعَ ٱلْخَطَرِ، وَيُشْبِعُ جَوْعَهُ، ثُمَّ يَنْقَلِبُ آمِنًا غَانِمًا. وَكَانَ ٱلسَّلاَّمِي يَقْصِدُ حَقْلَهُ كُلَّ يَوْمٍ بُكْرَةً. وَهُوَ يَرْجُو، فِي كُلِّ يَوْمٍ، أَنْ يَرَى ٱلذِّئْبَ ٱلْأَغْبَرَ، قَدْ وَقَعَ فِي ٱلْفَخِّ. وَلَكِنَّ آمَالَهُ كَانَتْ تَخِيبُ، وَتَذْهَبُ أَدْرَاجَ ٱلرِّيَاحِ. فَهُوَ لاَ يَجِدُ إِلاَّ آثَارَ ٱلْأَقْدَامِ، وَبَقَايَا ٱلْبِطِّيخِ ٱلَّذِي جَعَلَ مِنْهُ ٱلذِّئْبُ طَعَامًا دَائِمًا لَهُ. أَمَّا ٱلذِّئْبُ نَفْسُهُ فَلَمْ يَقَعْ فِي ٱلْفَخِّ أَبَدًا. وَلَمْ تَتَحَقَّقْ لِلسَّلاَمِي أُمْنِيَتُهُ بِالْقَبْضِ

عَلَيْهِ. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَمْ يَيْأَسْ، وَلَمْ يَتَطَرَّقِ ٱلْفَشَلُ إِلَى نَفْسِهِ أَبَدًا. وَكَانَ يُرَدِّدُ فِي كُلِّ حِينٍ قَوْلَ ٱلشَّاعِرِ:

قَدْ يُدْرِكُ ٱلْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ ... وَقَدْ يَكُونُ مَعَ ٱلْمُسْتَعْجِلِ ٱلزَّلَلُ

وَأَوْشَكَتْ ثِمَارُ ٱلْبِطِّيخِ عَلَى ٱلانْتِهَاءِ. فَجَمَعَ ٱلسَّلَامِي مَا تَبَقَّى مِنْهَا. سَوَاءٌ أَكَانَ نَاضِجًا أَمْ غَيْرَ نَاضِجٍ. وَحَمَلَهَا إِلَى ٱلْقَرْيَةِ. وَهُنَاكَ بَاعَ مِنْهَا مَا بَاعَ. وَأَهْدَى مَا أَهْدَى. ثُمَّ حَمَلَ مَا بَقِيَ إِلَى مَنْزِلِهِ.

وَاغْتَنَمَ فُرْصَةَ خُلُوِّ ٱلْحَقْلِ مِنَ ٱلثِّمَارِ ٱلنَّاضِجَةِ. فَكَلَّفَ ٱبْنَهُ عَبْدَ ٱللَّهِ بِاشْتِرَاءِ شَحْمِ أُلْيَةِ كَبْشٍ، فَلَمَّا جَاءَ بِهِ، حَمَلَهُ ٱلاثْنَانِ إِلَى ٱلْحَقْلِ. وَهُنَاكَ شَوَيَاهُ حَتَّى فَاحَتْ رَائِحَتُهُ، وَٱنْتَشَرَتْ فِي ٱلْجَوِّ، فَصَارَتْ تُشَمُّ مِنْ بُعْدٍ. ثُمَّ وَضَعَا ٱلشَّحْمَ فِي ٱلْفَخِّ. وَقَفَلَا رَاجِعَيْنِ إِلَى قَرْيَتِهِمَا.

وَجَاءَ ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ....

وَكَانَتْ رَائِحَةُ ٱلشَّحْمِ ٱلْمَشْوِيِّ، ٱلْفَائِحَةُ فِي ٱلْجَوِّ، قَدِ ٱجْتَذَبَتْهُ، وَأَخْرَجَتْهُ مِنْ جُحْرِهِ. وَتَتَبَّعَهَا، فَأَوْصَلَتْهُ إِلَى حَيْثُ ٱلْفَخَّانِ مَنْصُوبَانِ.

وَقَفَ ٱلذِّئْبُ حِذْوَ ٱلشَّحْمَتَيْنِ، وَقَدْ تَحَلَّبَ رِيقُهُ، وَسَالَ عَلَى جَانِبَيْ فَمِهِ. وَهَمَّ بِأَنْ يَتَقَدَّمَ فَيَأْكُلَ. وَلَكِنَّهُ لِطَبْعِهِ ٱلْحَذِرِ، تَرَدَّدَ... ثُمَّ أَحْجَمَ عَنِ ٱلاقْتِرَابِ بَتَاتًا مِنَ ٱلشَّحْمِ. وَقَالَ قَوْلَتَهُ ٱلْمَشْهُورَةَ: « يَا لِيَّةُ، مَاكْ بْلَا قْسِيَّةْ ». ذَلِكَ أَنَّهُ أَدْرَكَ بِفِطْنَتِهِ ٱلْوَقَّادَةِ، وَذَكَائِهِ ٱلْغَرِيبِ، ٱلْبَلَاءَ ٱلْكَامِنَ وَرَاءَ ٱلشَّحْمِ ٱلشَّهِيِّ. فَلَمْ يُبَادِرْ إِلَى ٱلْأَكْلِ، غَيْرَ مُهْتَمٍّ بِعَاقِبَةِ

أَمْرِه. وَإِنَّمَا عمدَ إِلَى أَحَدِ ٱلْفَخَّيْنِ، فَحفر أَسْفَلَه حَتَّى ٱنْكَشَف لَـهُ حَدِيدُهُ ،فَأَدْخَلَ يَدَهُ تَحْتَهُ، وقَذَفَهُ بِسُرْعَة، فَانْقَلَبَ ٱلْفَخُّ، وَٱنْطَبق. وَحِينَئِذٍ، ٱنْتَزَعَ مِنْهُ مَا فِيه. مِنْ شَحْمٍ. وَأَكلَهُ مُتَلَذِّذًا مُطئنًّا. وَمِثْلَ ذلِكَ فَعَلَ بِالْفَخِّ ٱلثَّانِي. ثُمَّ ٱنْصَرفَ بَعْدَ أَنْ تَنَعَّمَ بأَكْلَةٍ شَهِيَّةٍ، لَمْ يَكُنْ يَحْلُمُ بِهَا. وَلَمْ يَسْبِقْ لَهُ أَنْ ذَاقَ مِثْلَهَا طِيلَةَ حيَاتِه. وَلاَ تَسَلْ عَنِ ٱلْهَمِّ وَٱلْغَمِّ ٱللَّذَيْنِ ٱسْتَوْلَيَا عَلَى ٱلسَّلاَّمِي عِنْدَمَا وَجَدَ ٱلشَّحْمَ مأكُولاً. وَٱلْفَخَّيْنِ مَقْلُوبَيْنِ. وَفَهِمَ مِنَ ٱلْآثَارِ مَا صَنعَهُ ٱلذِّئْبُ بِالْفخَّيْنِ.

فَكَّرَ ٱلسَّلاَّمِي طَوِيلاً، ثُمَّ حَفَر حُفْرَتَيْنِ عَمِيقَتَيْنِ. وَنَصبَ ٱلْفَخَّيْن مقْلُوبَيْنِ وَوَضَعَ ٱلشَّحْمَ فَوْقَهُمَا. وَغَادَرَ ٱلْحَقْلَ. وَهُوَ يحَادِثُ نَفْسَهُ قَائلاً:

— «لاَ بُدَّ أَنْ يَقعَ ٱلذِّئْبُ ٱللَّيْلَةَ فِي ٱلْفَخِّ. فَإِنِّي قَدْ ٱحْتَلْتُ عَلَيْه بِحِيلَةٍ، مَا أَظُنُّهَا تَخْطُرُ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ عَلَى بَالٍ.»

وَوَصَلَ ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ إِلَى ٱلْحَقْلِ...

وَقَصَدَ إِلَى حَيْثُ ٱلشَّحْمُ الشَّهِيُّ يَنْتَظِرُ...

ٱنْطَلَتْ حِيلَةُ ٱلْفَلاَّحِ عَلَى ٱلذِّئْبِ. فشَرَعَ يَحْفِرُ كَدَأْبِه وَعَادَتِه.. وَلَمَّا أَرَاد رَفْعَ ٱلْفَخِّ. لِيقْلِبَهُ. ٱنْطبَقَ عَلَى يَدِهِ... لِحُسْنِ حَظِّ ٱلذِّئْبِ، لَمْ يَنْطَبِقْ فَكَّا ٱلْفَخِّ ٱنْطِبَاقًا كَامِلاً. فَقَدِ ٱعْتَرَضَ بَيْنَهُمَا عُودٌ. لَمْ يرهُ ٱلسَّلاَّمِي. كَمَا أَنَّ ٱلتُّرَاب كَانَ نَدِيًا. فَعَطَّلَ ٱلْفَخَّ عَنِ ٱلانْطِبَاقِ ٱلْكَامِلِ. وَبَقِيتْ بَيْنَ فكَّيْهِ فَجْوَةٌ. فَاسْتَطَاع ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ سَحْبَ يَدِهِ بِسُهُولَةٍ.

وَبِذَلِكَ سَلِمَ مِنْ شَرٍّ مُسْتَطِيرٍ. وَٱنْقَلَبَ ٱلذُّعْرُ ٱلْمُفَاجِئُ ٱلَّذِي أُصِيبَ بِهِ. إِلَى فَرَحٍ بِالنَّجَاةِ. وَغِبْطَةٍ بِالسَّلاَمَةِ. فَلَمَّا ذَهَبَ ٱلرَّوْعُ عَنِ ٱلذِّئْبِ، وَسَكَنَ ٱضْطِرَابُ جَأْشِهِ. تَقَدَّمَ إِلَى ٱلشَّحْمَةِ فَأَكَلَهَا جَذِلاً. ثُمَّ مَسَحَ بِلِسَانِهِ مَا عَلِقَ بِشَفَتَيْهِ، وَمَا سَالَ عَلَى جَانِبَيْ فَمِهِ مِنْ دُهْنٍ وَشَحْمٍ. وَغَادَرَ ٱلْحَقْلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَلاَمٍ، بِدُونِ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنَ ٱلْفَخِّ ٱلثَّانِي.

وَأَتَى ٱلسَّلاَّمِي مِنَ ٱلْغَدِ...

فَكَادَ أَنْ يُصْعَقَ مِنَ ٱلْغَيْظِ، عِنْدَمَا أَبْصَرَ مَا حَدَثَ. وَصَارَ يَهْذِي، وَيَصِيحُ، كَمَنْ أُصِيبَ بِمَسٍّ مِنَ ٱلْجُنُونِ. ثُمَّ تَمَالَكَ رَوْعَهُ، وَتَحَكَّمَ فِي أَعْصَابِهِ. فَقَرَّرَ أَنْ يُعِيدَ نَصْبَ ٱلْفَخَّيْنِ. عَلَى أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا مَقْلُوبًا. وَٱلآخَرُ غَيْرَ مَقْلُوبٍ. وَمَا أَنْ فَعَلَ ذَلِكَ حَتَّى زَايَلَهُ بَعْضُ مَا بِهِ مِنْ هَمٍّ وَغَمٍّ. وَٱنْبَعَثَ فِيهِ أَمَلٌ جَدِيدٌ بِالاِنْتِصَارِ عَلَى ٱلذِّئْبِ. فَغَادَرَ أَرْضَهُ. وَٱلتَّفْكِيرُ فِي وَسِيلَةٍ جَدِيدَةٍ يَتَغَلَّبُ بِهَا عَلَى ٱلذِّئْبِ، لاَ يَبْرَحُ خَيَالَهُ. وَعِنْدَمَا جَاءَ عَقِبَهُ ٱلذِّئْبُ ٱلأَغْبَرُ، وَشَاهَدَ ٱلْفَخَّيْنِ. وَفَوْقَهُمَا ٱلشَّحْمُ ٱلْمُغْرِي، لَمْ يَقْتَرِبْ مِنْهُمَا بَتَاتًا. فَقَدْ خَشِيَ أَنْ يَحْدُثَ لَهُ مِثْلَمَا حَدَثَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلسَّابِقِ. وَعَزَمَ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ شَيْءٍ آخَرَ، غَيْرِ ٱلشَّحْمِ، يَجْعَلُ مِنْهُ طَعَامًا لَهُ. فَقَدِ ٱعْتَبَرَ بِمَا حَلَّ بِهِ أَمْسِ. وَلَمْ يَغُرَّهُ ٱلشَّحْمُ. وَلَمْ يَطْمَعْ. بَلْ تَحَذَّرَ، فَسَلِمَ، وَلَوْ أَنَّهُ تَهَوَّرَ لَنَدِمَ. فَتَرَكَ ٱلشَّحْمَ وَٱلْفَخَّيْنِ جَانِبًا. وَجَالَ فِي ٱلْحَقْلِ جَوْلَةً، وَهُوَ حَذِرٌ يَقِظٌ. لاَ يَسِيرُ خَطْوَةً إِلاَّ بَعْدَ أَنْ يَعْرِفَ مُسَبَّقًا أَيْنَ يَطَأُ.

وَأَيْنَ يَضَعُ قَدَمَيْهِ. وَلاَ يَتَقَدَّمُ قَيْدَ أُنْمُلَةٍ إِلاَّ بَعْدَ ٱلتَّأَمُّلِ فِي ٱلْأَرْضِ، وَإِمْعَانِ ٱلنَّظَرِ فِيهَا، وَتَشَمُّمِهَا. وَلَمْ يَكُـنْ يَمْشِي إِلاَّ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلصُّلْبَةِ، ٱلَّتِي لاَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مَخْبَأً لِلْفِخَاخِ. فَعَثَرَ أَثْنَاءَ بَحْثِهِ وَتِجْوَالِهِ، عَلَى شَجَرَةِ تِينٍ. وَشَاهَدَ بَعْضَ ثِمَارِهَا قَدْ سَقَطَتْ عَلَى ٱلْأَرْضِ، لِنُضْجِهَا. فَأَكَلَهَا. وَبِمَا أَنَّهَا قَلِيلَةُ ٱلْعَدَدِ، لَمْ تُشْبِعْ جُوعَهُ، فَإِنَّهُ قَفَزَ، فَإِذَا هُوَ فِي قَلْبِ ٱلشَّجَرَةِ فَانْتَقَى مِنْ تِينِهَا ٱلنَّاضِجِ كِفَايَتَهُ. ثُمَّ نَزَلَ وَاثِبًا. فَالْتَقَطَ مَا سَقَطَ مِنَ ٱلتِّينِ، أَثْنَاءَ تَحْرِيكِهِ لِلْأَغْصَانِ. وَٱنْتَهَى مِنْ ذَلِكَ. فَغَادَرَ ٱلْحَقْلَ مِنْ حَيْثُ دَخَلَهُ.

وَجَاءَ ٱلسَّلاَّمِي. وَرَأَى ٱلْفَخَّيْنِ وَقَدْ بَقِيَ ٱلشَّحْمُ فَوْقَهُمَا صَحِيحًا، سَالِمًا. فَظَنَّ أَنَّ ٱلذِّئْبَ لَمْ يَأْتِ أَصْلاً. وَلَكِنَّهُ أَبْصَرَ آثَارَ أَقْدَامِهِ عَلَى ٱلْأَرْضِ فَعَلِمَ أَنَّ حِيلَتَهُ لَمْ تَنْطَلِ عَلَيْهِ. وَإِنَّهُ لَمْ يَغْتَرَّ بِالْمَظَاهِرِ ٱلْخَادِعَةِ. وَتَحَقَّقَ أَنَّ ٱلذِّئْبَ لَنْ يَمَسَّ ٱلشَّحْمَ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ أَبَدًا. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ:

– « إِذَا لَمْ يَكُنِ ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ قَدْ أَكَلَ ٱلشَّحْمَ، فَمَاذَا عَسَاهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَكَلَ؟. لاَ بُدَّ لِي أَنْ أَعْرِفَ ذَلِكَ »

وَشَرَعَ يَقْتَفِي آثَارَ ٱلْأَقْدَامِ، حَتَّى ٱنْتَهَتْ بِهِ إِلَى شَجَرَةِ ٱلتِّينِ. فَعَلِمَ أَنَّ خَصْمَهُ ٱلْعَنِيدَ، ٱتَّخَذَ مِنْ ثَمَرِهَا ٱللَّذِيذِ طَعَامًا لَهُ. وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ عَائِدٌ إِلَيْهَا لاَ مَحَالَةَ. لِأَنَّ تِلْكَ ٱلشَّجَرَةَ، هِيَ ٱلْوَحِيدَةُ ٱلَّتِي تُبَكِّرُ بِالنُّضْجِ. فَاشْتَرَى عَدَدًا وَافِرًا مِنَ ٱلْفِخَاخِ. وَنَصَبَهَا تَحْتَهَا. جَاعِلاً إِيَّاهَا تُحِيطُ بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. وَٱعْتَقَدَ أَنَّ ٱلذِّئْبَ سَيَتَفَطَّنُ حَتْمًا لِوُجُودِ بَعْضِهَا، وَلَكِنَّهُ قَدْ يَغْفُلُ عَنِ ٱلْبَعْضِ ٱلْآخَرِ، فَيُمْسِكُ بِهِ أَحَدُ ٱلْفِخَاخِ، وَفِي ذَلِكَ نِهَايَةُ

لِلصِّرَاعِ بَيْنَهُمَا. وَلَكِنَّ ٱلذِّئْبَ كَانَ أَذْكَى مِمَّا ظَنَّ ٱلْفَلاَّحُ، وَ أَشَدَّ حَيْطَةً وَحَذَرًا. فَإِنَّهُ لَمَّا تَمَعَّنَ فِي ٱلْأَرْضِ، تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ، دَلَّتْهُ غَرِيزَتُهُ عَلَى أَنَّهَا مَلآنَةٌ بِالْفِخَاخِ. فَلَمْ يُحَاوِلْ أَنْ يَجْعَلَ طَرِيقَهُ إِلَى ٱلتِّينَةِ مِنْ تَحْتِهَا، وَإِنَّمَا قَصَدَ إِلَى ٱلسِّيَاجِ، ٱلَّذِي كَانَ مُحَاذِيًا لَهَا، فَارْتَقَاهُ. وَمِنْهُ بَلَغَ إِلَى أَغْصَانِ ٱلشَّجَرَةِ فَتَسَلَّقَهَا. وَصَارَ يَجُوسُ خِلاَلَهَا، وَيَقْطِفُ مِنْ ثِمَارِهَا مَا لَذَّ وَطَابَ، وَلَمَّا ٱكْتَفَى بِمَا أَكَلَ، وَثَبَ إِلَى ٱلْأَرْضِ، بَعِيدًا عَنِ ٱلْفِخَاخِ. ثُمَّ ذَهَبَ فِي سَبِيلِهِ، شَبْعَانَ سَالِمًا.

وَعِنْدَمَا وَقَفَ ٱلسَّلاَّمِي تَحْتَ ٱلتِّينَةِ، أَدْرَكَ كَيْفَ صَعِدَ ٱلذِّئْبُ إِلَى ٱلشَّجَرَةِ، وَكَيْفَ هَبَطَ مِنْهَا. فَبَقِيَ مُحْتَارًا، يَتَسَاءَلُ :

– « كَيْفَ ٱلسَّبِيلُ إِلَى ٱلتَّغَلُّبِ عَلَى هَذَا ٱلذِّئْبِ ٱلْخَبِيثِ يَا تُرَى؟ »

وَعَادَ إِلَى دَارِهِ يُفَكِّرُ، وَيُقَلِّبُ ٱلرَّأْيَ عَلَى وُجُوهِهِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ. وَٱلْهَمُّ وَٱلْحُزْنُ يَطْغَيَانِ عَلَيْهِ، وَيُنَغِّصَانِ عَيْشَهُ.

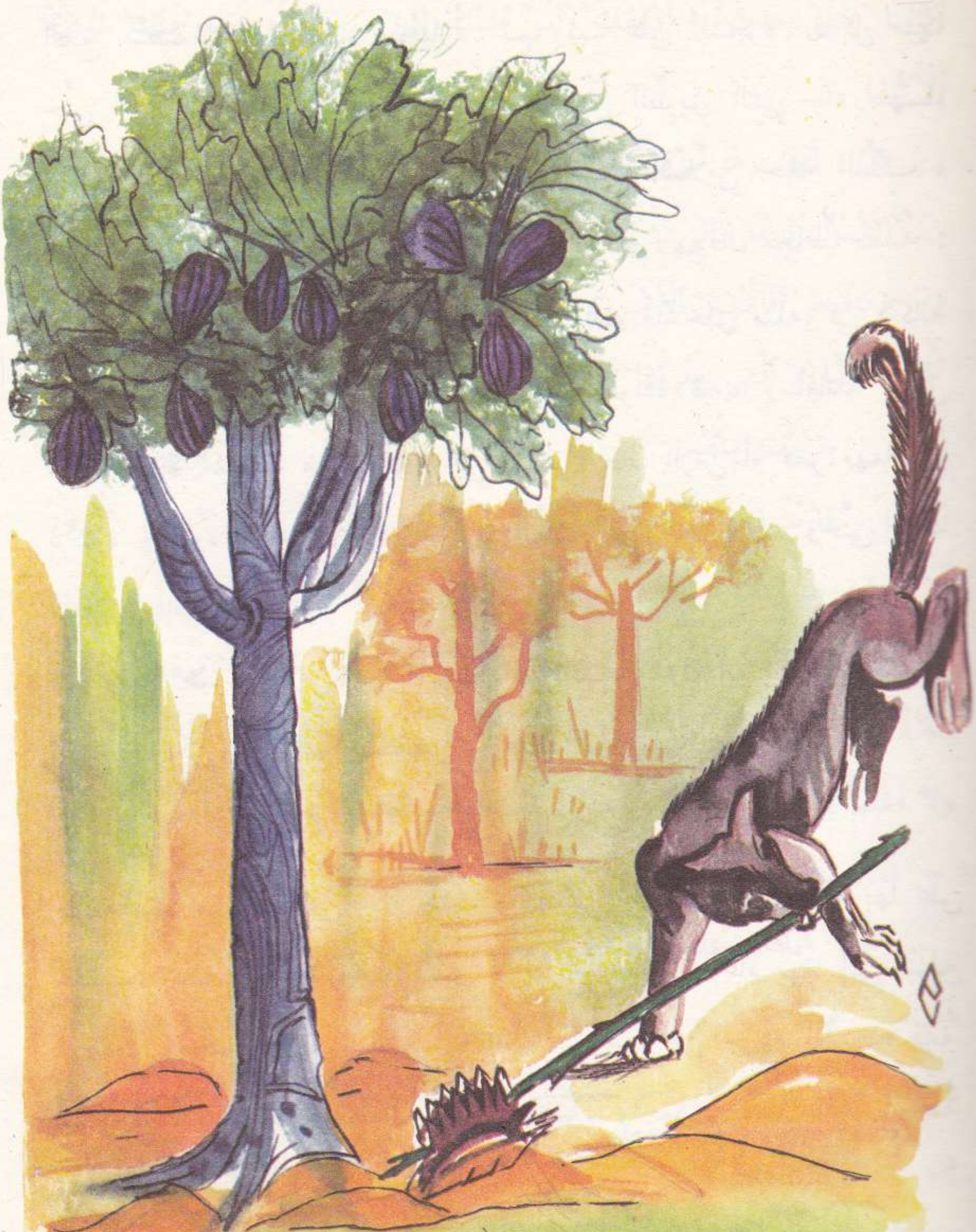
ٱلذِّئْبُ يَأْكُلُ بِالعَصَا

لَمْ يَعُدِ ٱلسَّلاَّمِي إِلَى ٱلْحَقْلِ إِلاَّ بَعْدَ أَنِ ٱبْتَكَرَ حِيلَةً رَآهَا صَائِبَةً. فَلَقَدْ هَدَاهُ تَفْكِيرُهُ إِلَى أَنْ يُكْثِرَ مِنْ عَدَدِ ٱلْفِخَاخِ. وَأَنْ يَجْمَعَ كُلَّ مَا بِالْحَقْلِ مِنْ تِينٍ. إِلاَّ تِينَةً وَاحِدَةً، يُبْقِيهَا بِغِلاَلِهَا. عَلَى أَنْ تَكُونَ وَسَطَ ٱلْحَقْلِ. لِئَلاَّ يَقْدِرَ ٱلذِّئْبُ عَلَى ٱلْوُصُولِ إِلَى ثِمَارِهَا، إِلاَّ مِنْ تَحْتِهَا. وَقَدْ أَعَانَ عَبْدُ ٱللَّهِ وَالِدَهُ عَلَى جَمْعِ ٱلتِّينِ. وَأَبْقَيَا وَاحِدَةً مِنَ ٱلْأَشْجَارِ مُثْقَلَةً بِثِمَارِهَا ٱلشَّهِيَّةِ ٱلْمُغْرِيَةِ. وَلَمْ يَكُنْ إِزَاءَهَا مَا يُمْكِنُ أَنْ يَجْعَلَهُ ٱلذِّئْبُ مَصْعَدًا

يَثِبُ منْهُ إِلَيْهَا. وبَعْدَ ٱلانْتِهَاءِ مِنْ ذَلِكَ، أَحَاطَا ٱلشَّجَرَةَ بِالْفِخَاخِ ٱلْمُتَلاَصِقَةِ، ٱلْوَاحِدُ حِذْوَ ٱلآخَرِ. وَهَكَذَا صَارَتِ ٱلشَّجَرَةُ مُطَوَّقَةً. لاَ مَنَاصَ لِمَنْ يَبْغِي ٱلْوُصُولَ إِلَيْهَا، مِنَ ٱلْوُقُوعِ فِي فَخٍّ مِنَ ٱلْفِخَاخِ.

وَأَتَى ٱلذِّئْبُ ٱلأَغْبَرُ... وَبَحَثَ عَنِ ٱلتِّينِ، فَلَمْ يَجِدْهُ إِلاَّ فِي تِلْكَ ٱلشَّجَرَةِ. فَاقْتَرَبَ مِنْهَا. وَرَأَى ٱلتُّرَابَ ٱلْحَدِيثَ ٱلْوَضْعِ. فَتَشَمَّمَ رَائِحَتَهُ، فَوَجَدَ فِيهَا رِيحَ ٱلإِنْسَانِ. وَعَلِمَ عِنْدَئِذٍ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ، مَا يُوجَدُ تَحْتَهُ. وَأَيْقَنَ بِشِدَّةِ ٱلْبَلاَءِ ٱلَّذِي سَوْفَ يَنْصَبُّ عَلَيْهِ، إِنْ هُوَ ٱقْتَرَبَ مِنْهُ. وَتَحَقَّقَ أَنَّ تَحْتَ ٱلْخَبَايَا بَلاَيَا، وَمَصَائِبَ، وَفِخَاخًا تَتَرَبَّصُ ٱلْفُرَصَ بِهِ، لِتَقْضِيَ عَلَيْهِ، إِنْ هُوَ دَنَا مِنْهَا. أَوْ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِاجْتِيَازِهَا. فَكَيْفَ ٱلْعَمَلُ..؟ ٱلتِّينُ مَوْجُودٌ... وَلَكِنْ دُونَهُ ٱلْمَوْتُ ٱلزُّؤَامُ... فَهَلْ يَتَرَاجَعُ؟ وَيَكْتَفِي مِنَ ٱلْغَنِيمَةِ بِالإِيَّابِ؟.. أَمْ هَلْ يُجَازِفُ..؟ وَقَدْ يَكُونُ فِي ذَلِكَ حَتْفُهُ..؟ لاَ هَذَا.. وَلاَ ذَاكَ.. فَلَقَدْ كَانَ فِي جُعْبَةِ ٱلذِّئْبِ ٱلأَغْبَرِ مِنَ ٱلْحِيَلِ، ٱلشَّيْءُ ٱلْكَثِيرُ.. وَلَدَيْهِ مِنَ ٱلْحُلُولِ مَا يُسَاعِدُهُ عَلَى ٱلتَّخَلُّصِ مِنْ جُلِّ ٱلْمُعْضِلاَتِ ٱلَّتِي تَعْتَرِضُ سَبِيلَهُ. وَمِنْ ثَمَّ، فَإِنَّ حَيْرَتَهُ لَمْ تَطُلْ. وَمَا لَبِثَ أَنِ ٱسْتَنْبَطَ وَسِيلَةً تَضْمَنُ لَهُ ٱجْتِيَازَ ٱلْفِخَاخِ، وَٱلظَّفَرَ بِالتِّينِ...

جَالَ فِي ٱلْحَقْلِ، بَاحِثًا عَنْ عَصًا طَوِيلَةٍ. فَلَمَّا عَثَرَ عَلَيْهَا، أَمْسَكَهَا بَيْنَ أَسْنَانِهِ. وَقَصَدَ بِهَا إِلَى مَوْضِعِ ٱلفِخَاخِ. وَجَعَلَ يُدْخِلُهَا فِي ٱلتُّرَابِ وَيَنْقُرُ بِهَا ٱلأَرْضَ. مِثْلَمَا يَنْقُرُ ٱلطَّائِرُ ٱلْحَبَّ. وَعِنْدَمَا لاَمَسَتِ ٱلْعَصَا وَاحِدًا مِنَ ٱلْفِخَاخِ، ٱنْطَبَقَ فَكَّاهُ عَلَيْهَا.. وَكَانَ ٱنْطِبَاقُهُمَا قَوِيًّا. حَتَّى أَنَّ ٱلذِّئْبَ



ٱنْذعَرَ، وَقفزَ إِلَى ٱلْوَرَاءِ مُرْتَاعًا. فَلَمَّا هدأَ فَزَعُهُ، وَسَكَنَ ٱضْطِرَابُهُ، ترَكَ ٱلْفَخَّ مُنْطَبِقًا عَلَى ٱلْعصَا، وَٱجْتَازَهُ. ثُمَّ وَثَبَ عَلَى ٱلشَّجرَةِ. فأكَلَ مِنْهَا حَتَّى امْتَلأَ. وَٱنْتَهَى مِنْ طَعَامِهِ، فَرَجَعَ مِنَ ٱلطَّرِيقِ ٱلَّتِي جَاءَ مِنْهَا، وَٱلَّتِي سَبَقَ لَهُ أَنْ مَهَّدَهَا، وَٱجْتَازَهَا... وَعَرَفَ ٱلسَّلاَّمِي حِيلَةَ ٱلذِّئْبِ، فَأَصَابَهُ مِنَ ٱلْهَمِّ وَٱلْغَمِّ مالاَ يُوصَفُ. وَٱحْتَارَ فِي أَمْرِهِ. وَقَالَ مُخَاطِبًا نَفْسَهُ:

- «لَقَدْ حَيَّرَنِي هَذَا ٱلذِّئْبُ... وَمَا أَظُنُّ ٱللّه قَدْ خَلَقَ مِثْلَهُ، فِي ذَكَائِهِ وَسَعَةِ حِيلَتِهِ. وَلَكِنِّي سَأُكَافِحُهُ كِفاحًا لاَ هَوَادَةَ فِيهِ، وسَأُقَاتِلُهُ بِمِثْلِ سِلاحِهِ. وَلاَ مَفَرَّ لَهُ مِنَ ٱلْوُقُوعِ فِي قَبْضَتِي، طالَ ٱلزَّمنُ أَوْ قَصُرَ، مَهْما بلَغَ ذَكَاؤُهُ ودَهاؤُهُ. وسَنَرَى لِمَنْ تَكُونُ ٱلْغَلَبَةُ فِي ٱلنِّهَايَةِ... وَحَتَّى ذَلِكَ ٱلْوَقْتِ، فَإِنِّي صَابِرٌ صَبْرَ أَيُّوبَ.»

وَفِعْلاً صَبَرَ ٱلسَّلاَّمِي، بيْدَ أَنَّ ٱلْأَيَّامَ طَالَتْ، بِدُونِ أَنْ يَقَعَ ٱلذِّئْبُ فِي ٱلْفَخِّ. وَلَكِنَّ أَمَلَهُ لَمْ يَنْقُصْ، وَصَبْرَهُ لَمْ يَنْفُذْ.

ٱلذِّئْبُ وٱلكِلاَبُ

مَضَتْ عَلَى ٱلسَّلاَّمِي أَيَّامٌ عِدَّةٌ، وَٱلتَّفْكِيرُ فِي طَرِيقَةٍ يَتَغَلَّبُ بهَا عَلَى ٱلذِّئْبِ، شُغْلُهُ ٱلشَّاغِلُ، وَهمُّهُ ٱلَّذِي لا يَبْرَحُ خَيَالَهُ. وَعَادَ يَوْمًا إِلَى مَنْزِلِهِ فوضَعَتْ زَوْجَتُهُ (قَصْعَةَ ٱلْكُسْكُسِي) أَمَامَهُ. ورَغْمًا عَنْ جُوعِهِ ٱلشَّدِيدِ، فإِنَّهُ لَمْ يَرْفَعْ ٱلْغِطَاءَ عَنِ ٱلْقَصْعَةِ. وَبَقِيَ سَاهِمًا، وَاجِمًا... فَلَمَّا عَادَتْ زَوْجَتُهُ وَرَأَتِ ٱلْقَصْعَةَ عَلَى حَالِهَا. قَالَتْ لَهُ:

ـ (مَالِي أَرَاكَ ٱللَّيْلَة عَلَى غَيْرِ عَادَتِك يَا سَلاَّمِي ؟.. إِنَّكَ تبْدُو حزِينًا كَئِيبًا . فَهَلْ حَدَثَ مَا أَقْلَقَكَ وَأَثَّر عليْكَ إِلَى دَرَجَةِ أَنَّهُ قَطَعَ عَنْكَ شَاهِيَّةَ ٱلْأَكْــلِ ؟ .

فَقَال لَها، وَهْوَ يَزْفِرُ زَفْرةً حَرَّى :

ـ (وَتَسْأَلُنِي مَا بَالِي..!!؟؟. أَلَسْتِ تَدْرِينَ بِمَا أُعَانِيهِ مِنْ هَمٍّ وَنَصَبٍ، فِي مُكَافَحَةِ ٱلذِّئْبِ ٱلْأَغْبَرِ ؟ لَقَدِ ٱسْتَعْمَلْتُ، فِي سَبِيلِ ٱلْقَبْضِ عَلَيْهِ، كُلَّ ٱلْحِيَلِ، ٱلَّتِي يَعْرِفُهَا ٱلنَّاس. فَمَا أَجْدَتْ فَتِيلاً : وضَعْتُ حَارِسًا فَمَا نَفَع... حَرسْتُ بِنَفْسِي. فكَانَ يُفْلِتُ مِنْ بيْنِ يَدَيَّ كُلَّ مرَّةٍ... سَيَّجْتُ ٱلْحَقْلَ، فاخْتَرقَ ٱلسِّيَاج... نَصَبْتُ ٱلْفِخَاخَ، فَتَجَنَّبَهَا... وَصَارَ يَعْرِفُ أَمَاكِنَها، حَتَّى كَأَنَّهُ هُوَ ٱلَّذِي يَضعُهَا بِنَفْسِهِ... وَيَا لَيْتَهُ ٱكْتَفَى بِمَعْرِفَتِهَا. وتَجَنُّبِهَا، بلْ أَنَّهُ صَار يُطْبِقُهَا، ثُمَّ يَأكُلُ ٱلطُعْم ٱلَّذِي أَضَعُهُ فوْقَهَا... ولَمْ يَعُقْهُ عَائِقٌ عَنِ ٱرْتِيَادِ ٱلْحَقْلِ، وَٱلْأَكْلِ مِنْهُ... فَكَيْفَ لاَ يَنْشَغِلُ بَالِي، وَلاَ أَغْتَمُّ بَعْدَ كُلِّ هذَا ؟. وَهَلْ سَمِعْتِ بِأَحَدٍ ٱبْتُلِيَ بِمِثْلِ مَا ٱبْتُلِيتُ بِهِ ؟)

فَقَالَتْ زَوْجَتُــهُ :

ـ « حَقًّا إِنَّكَ ٱبْتُلِيتَ بِخَصْمٍ صَعْبٍ، شَدِيدِ ٱلْمِرَاسِ، قَوِيِّ ٱلشَّكِيمَة. وَصَحِيحٌ أَنَّك فَشِلْتَ فِي ٱلتَّغَلُّبِ عَلَيْهِ لِحَدِّ ٱلْآنَ. وَلَكِنَّ ذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ حَافِزًا لَكَ، عَلَى أَنْ تَسْتَمِيتَ فِي ٱلنِّضَالِ. وعَلَى أَنْ لاَ تَتْرُكَ وَسِيلَةً مِنَ ٱلْوَسَائِلِ، ٱلَّتِي قَدْ تُمكِّنُك مِن ٱلظَّفَرِ، بِدُونِ أَنْ تَسْتَعْمِلَهَا. »

فَتَسَاءَلَ ٱلسَّلاَّمِي :



– «هَلْ تَرَيْنَنِي تَرَكْتُ حِيلَةً لَمْ أَسْتَعْمِلْهَا، أَوْ وَسِيلَةً لَمْ أَلْجَأْ إِلَيْهَا ؟»
فَقَالَتْ مُؤَكِّدَةً :
– «نَعَمْ.. هُنَاكَ وَسِيلَةٌ، لَمْ تُجَرِّبْهَا لِحَدِّ ٱلْآنَ..»
فَظَهَرَ ٱلاهْتِمَامُ عَلَى وَجْهِهِ. وَسَأَلَهَا مُتَلَهِّفًا :
– «مَا هِيَ هَذِهِ ٱلْوَسِيلَةُ ؟؟»
فَقَالَتْ، وَهْيَ تَرْفَعُ ٱلْغِطَاءَ عَنِ ٱلْقَصْعَةِ :
– «ٱلْكِلاَبُ... إِنَّكَ لَمْ تُجَرِّبْ حِرَاسَةَ ٱلْحَقْلِ بِهَا. ٱشْتَرِ كَلْبًا مِنْ كِلاَبِ ٱلْحِرَاسَةِ، وَٱتْرُكْهُ فِي ٱلضَّيْعَةِ. فَعَسَى أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ ٱلْخَلاَصُ وَٱلْفَرَجُ.»
أَيَّدَ ٱلسَّلاَّمِي فِكْرَتَهَا. وَقَالَ، وَهْوَ يُدْنِي مِلْعَقَةَ ٱلْكُسْكُسِي مِنْ فَمِهِ :
– «بُورِكَ فِيكِ مِنِ ٱمْرَأَةٍ عَاقِلَةٍ مُفَكِّرَةٍ... حَقًّا، لَقَدْ كُنْتُ غَافِلاً عَنْ هَذِهِ ٱلْوَسِيلَةِ. وَسَأُبَادِرُ إِلَى تَجْرِبَتِهَا، وَٱلْعَمَلِ بِرَأْيِكِ، مُنْذُ ٱلْغَدِ.»
وَفِعْلاً ٱشْتَرَى كَلْبًا شَرِسًا. وَذَهَبَ بِهِ إِلَى ٱلْحَقْلِ. وَرَبَطَهُ إِلَى جِذْعِ تُوتَةٍ. بِسِلْسِلَةٍ مِنْ حَدِيدٍ. وَتَرَكَهُ مَرْبُوطًا، لِأَنَّهُ خَافَ إِنْ أَبْقَاهُ طَلِيقًا، أَنْ يَفِرَّ، وَيَعُودَ إِلَى صَاحِبِهِ ٱلَّذِي بَاعَهُ.
وَلَمَّا ٱقْتَرَبَ ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ مِنَ ٱلْحَقْلِ لَيْلاً، شَمَّ ٱلْكَلْبُ رَائِحَتَهُ، قَبْلَ وُصُولِهِ. فَنَبَحَ نُبَاحًا شَدِيدًا. فَتَخَوَّفَ ٱلذِّئْبُ، وَتَحَذَّرَ. وَبَقِيَ خَارِجَ ٱلسِّيَاجِ، يَنْتَظِرُ أَنْ يَبْرُزَ لَهُ ٱلْكَلْبُ. وَطَالَ بِهِ ٱلتَّرَقُّبُ، وَنُبَاحُ ٱلْكَلْبِ لاَ يَنْقَطِعُ. بَيْدَ أَنَّهُ لَمْ يَرَهُ خَارِجًا إِلَيْهِ. فَعَلِمَ أَنَّهُ مَرْبُوطٌ. وَمِمَّا أَيَّدَ



فِكْرَتِهِ. أَنَّ ٱلنُّبَاحَ لَمْ يَكُنْ يَصْدُرُ إِلاَّ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ، لاَ تَتَغَيَّرُ. وَلَوْ كَانَ مُطْلَقَ ٱلسَّرَاحِ، لَأَتَى نُبَاحُهُ مَرَّةً مِنْ هُنَا، وَمَرَّةً مِنْ هُنَاكَ. وَعَلَى ذَلِكَ فَقَدْ دَخَلَ ٱلذِّئْبُ مُتَحَذِّرًا، وَلَكِنَّهُ غَيْرُ خَائِفٍ، وَلاَ وَجِلٍ. فَاشْتَدَّ نُبَاحُ ٱلْكَلْبِ ،عِنْدَ رُؤْيَتِهِ ٱلذِّئْبَ. وحاوَلَ تَقْطِيعَ ٱلسِّلْسِلَةِ. بَيْدَ أَنَّ مَتَانَتَهَا حَالَتْ دُونَ ذَلِكَ. فَلَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ حِيلَةٌ، إِلاَّ أَنْ يَنْبَحَ... وَيَنْبَحَ... وَلَمْ يَهْدَأْ إِلاَّ عِنْدَمَا ٱنْتَهَى ٱلذِّئْبُ مِنَ ٱلْأَكْلِ، وَغَادَرَ ٱلْحَقْلَ.

وَأَلِفَ ٱلْكَلْبُ ٱلْحَقْلَ. وَصَاحِبَهُ، بَعْدَ أَيَّامٍ... فَأَبْقَاهُ ٱلسَّلامِي طَلِيقًا... وَدَنَا ٱلذِّئْبُ كَعَادَتِهِ... فَتَفَطَّنَ ٱلْكَلْبُ لِقُدُومِهِ، وَبَرَزَ لَهُ، وَنُبَاحُهُ يَمْلَأُ ٱلْفَضَاءَ، وَتُرَدِّدُهُ ٱلْأَجْوَاءُ.

كَانَ هُجُومُ ٱلْكَلْبِ خَاطِفًا، وَسَرِيعًا. غَيْرَ أَنَّ ٱلذِّئْبَ كَانَ مُتَهَيِّئًا لِلْمَعْرَكَةِ، وَمُسْتَعِدًّا لَهَا تَمَامَ ٱلاسْتِعْدَادِ. فَبِمُجَرَّدِ أَنْ وَثَبَ ٱلْكَلْبُ عَلَيْهِ، تَنَحَّى عَنْ طَرِيقِهِ. فَسَقَطَ ٱلْكَلْبُ عَلَى ٱلْأَرْضِ. وَبِأَسْرَعَ مِنْ لَمْحِ ٱلْبَصَرِ، كَانَ ٱلذِّئْبُ فَوْقَهُ، يَعَضُّهُ بِأَنْيَابِهِ، وَيَفْرِيهِ بِمَخَالِبِهِ. وَٱسْتَطَاعَ ٱلْكَلْبُ ٱلتَّخَلُّصَ مِنْ عَدُوِّهِ. وَٱلْوُقُوفَ. بَيْدَ أَنَّ ٱلذِّئْبَ لَمْ يُمْهِلْهُ طَوِيلاً. إِذْ عَاجَلَهُ بِضَرْبَةٍ قَوِيَّةٍ، وَسَرِيعَةٍ، عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ، تَرَكَتْهُ يَتَلَوَّى مِنَ ٱلْأَلَمِ. وَأَتْبَعَهَا بِضَرَبَاتٍ أُخْرَى، سَرِيعَةٍ مُتَلاَحِقَةٍ. فَدَوَّخَهُ ٱلْأَلَمُ. وَعَجِزَتْ رِجْلاَهُ عَنْ حَمْلِهِ، فَهَوَى سَاقِطًا عَلَى ٱلْأَرْضِ. وَقَبْلَ أَنْ يَبْلُغَهَا، أَمْسَكَهُ ٱلذِّئْبُ مِنْ حَنْجَرَتِهِ، مِثْلَمَا يُمْسِكُ عَنْزًا، وَضَغَطَ عَلَيْهَا، فَقَضَى عَلَيْهِ تَمَامًا. وَلَمْ يُسْلِمْهُ مِنْ بَيْنِ

أَنْيَابِه، إلاَّ بَعْدَ أَنْ ٱطْمَأَنَّ إِلَى مَوْتِهِ. فَتَرَكَهُ صَرِيعًا عَلَى ٱلثَّرى. وَدَخَلَ ٱلْحَقْلَ. فَأَكَلَ مِنْهُ مَا أَشْبَعَهُ. ثُمَّ عَادَ إِلَى وِجَارِهِ.

كَانَتِ ٱلْمُفَاجَأَةُ شَدِيدَةَ ٱلْوَقْعِ عَلَى ٱلسَّلاَّمِي. بَيْدَ أَنَّهُ لَمْ يَيْأَسْ. وَعَزَمَ عَلَى ٱشْتِرَاءِ كَلْبٍ مِنْ فَصِيلَةِ (ٱلْكِلاَبِ ٱلذِّيبِيَّةِ)، ٱلْمَشْهُورَةِ بِقُوَّتِهَا، وَشَرَاسَتِهَا. وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَوَانَى لَحْظَةً وَاحِدَةً، نَفَّذَ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ. وَأَتَى بِوَاحِدٍ مِنْ هَذَا ٱلنَّوْعِ، وَأَبْقَاهُ بِالْحَقْلِ، مَرْبُوطًا أَوَّلَ ٱلْأَمْرِ، ثُمَّ طَلِيقًا فِيمَا بَعْدُ.

غَابَ ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ عَنِ ٱلْحَقْلِ، بِضْعَةَ أَيَّامٍ، أَكَلَ فِيهَا نَعْجَةً، عَثَرَ عَلَيْهَا ضَالَّةً... ثُمَّ جَاءَ... فَلَمَّا هَمَّ بِالدُّخُولِ مِنَ ٱلسِّيَاجِ، رَآهُ ٱلْكَلْبُ. فَبَادَرَ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ... وَحَالَمَا أَبْصَرَهُ ٱلذِّئْبُ، أَيْقَنَ أَنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ ٱلتَّغَلُّبَ عَلَيْهِ بِالْقُوَّةِ. فَرَكَنَ إِلَى ٱلْمَكْرِ وَٱلْخَدِيعَةِ:

جَرَى ٱلذِّئْبُ هَارِبًا... فَتَبِعَهُ ٱلْكَلْبُ مُطَارِدًا... وَلَمَّا أَوْشَكَ عَلَى ٱلْوُصُولِ إِلَيْهِ. ٱرْتَمَى ٱلذِّئْبُ عَلَى ظَهْرِهِ، وَلَحِقَ بِهِ ٱلْكَلْبُ... ثُمَّ وَقَفَ فَوْقَهُ مُبَاعِدًا بَيْنَ رِجْلَيْهِ. مُسْتَعِدًّا لِلْقَبْضِ عَلَيْهِ، إِنْ تَحَرَّكَ... وَبَغْتَةً... وَبِسُرْعَةٍ مُتَنَاهِيَةٍ، لَمْ يَقْرَأْ لَهَا ٱلْكَلْبُ حِسَابًا، كَانَتْ مَخَالِبُ ٱلذِّئْبِ تَفْرِي بَطْنَ ٱلْكَلْبِ، وَتَشُقُّهَا شَقًّا عَمِيقًا. كَمَا كَانَتْ أَنْيَابُهُ تُطْبِقُ عَلَى عُنُقِهِ... وَضَغَطَ ٱلذِّئْبُ، بِمُنْتَهَى قُوَّتِهِ... وَٱسْتَمَرَّ يَضْغَطُ... وَيَضْغَطُ... فَتَدَفَّقَتِ ٱلدِّمَاءُ غَزِيرَةً، قَانِيَةً... وَحَاوَلَ ٱلْكَلْبُ فِكَاكًا، فَلَمْ يَسْتَطِعْ... وَخَرَّ عَلَى ٱلْأَرْضِ... فَتَخَبَّطَ قَلِيلاً... ثُمَّ لَفَظَ أَنْفَاسَهُ ٱلْأَخِيرَةَ، وَأَضْحَى جُثَّةً هَامِدَةً...

وَبِموتِ ٱلْكَلبِ، خَلاَ ٱلْجَوُّ للذِّئْبِ. فَوَلَجَ ٱلْحقْلَ. وَأَكَلَ مِنْهُ عِنَبًا لَذِيذًا، وَرُطَبًا شَهِيًّا. وَتُوتًا عَسَلِيًّا.

قَدِمَ ٱلسَّلاَّمِي... فَلَوْ أَنَّ صَاعِقَةً ٱنْقَضَّتْ عَلَيْهِ مِنَ ٱلسَّمَاءِ، لما كَانَ تَأْثِيرُهَا عَلَيهِ بِأَعظَمَ مِنْ تَأْثِيرِ موتِ الكَلبِ. وَٱنْثَنَى عَلَى عَقِبَيهِ، يَائسًا، سَاخِطًا. ولَمْ يَدْخُلِ ٱلْحَقْلَ، فَقَدْ كَرَّهَهُ ٱلذِّئْبُ إِلَيْهِ. وَلَمَّا حلَّ بِمَنْزِلِهِ، أَخَذَ يَلُومُ زَوْجَتَهُ عَلَى تَدْبِيرِهَا. فَقَالَتْ لَهُ:

- «إِذَا كَانَتِ ٱلْحِرَاسَةُ بالْعِبَادِ، وَٱلْكِلاَبِ، لَمْ تُجْدِ، مَعَ هَذا ٱلذِّئْبِ ٱلْعَجِيبِ، فَعُدْ إِلَى مُقَاوَمَتِهِ بِالْفِخَاخِ. فَعَسَى أَنْ يَكُونَ حَتْفُهُ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا»

ما كُل مَرَّةْ تَسْلَمُ ٱلْجَــرَّةْ

بَادَرَ ٱلسَّلاَّمِي بِالذَّهَابِ إِلَى ٱلْحَدَّادِ، فَاشْتَرَى مِنْهُ كُلَّ مَا يُوجَدُ لَدَيْهِ مِنْ فِخَاخٍ. وَحَمَلَهَا إِلَى حَقْلِهِ. وَتَحْتَ شَجَرَةِ ٱلتِّينِ، وَارَاهَا مُتَحَاذِيَةً وَحَلْقَةً وَرَاءَ حَلْقَةٍ، حَتَّى أَوْصَلَهَا إِلَى جَذْعِ ٱلشَّجَرَةِ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى دَارِهِ، وَهُوَ قَرِيرُ ٱلْعَيْنِ، هَادِئٌ مُتَفَائِلٌ، عَظِيمُ ٱلْأَمَلِ فِي ٱلنَّجَاحِ وَٱلْفَوْزِ.

وَأَتَى ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ... فَفَرِحَ لِعَدَمِ وُجُودِ ٱلْكِلاَبِ. وَذَهَبَ إِلَى شَجَرَةِ ٱلتِّينِ. فَشَاهَدَ مَوَاضِعَ ٱلْفِخَاخِ. فَعَادَ لِلْبَحْثِ عَنْ عَصًا، فَلَمَّا أَصَابَهَا أَتَى بِهَا يَحْمِلُهَا فِي فَمِهِ. وَكَالْعَادَةِ.. شَرَعَ يَنْقُرُ ٱلْأَرْضَ بِعَصَاهُ. وَٱنْطَبَقَ ٱلْفَخُّ ٱلَّذِي لاَمَسَتْهُ ٱلْعَصَا. فَتَرَكَهَا فِيهِ. وَتَقَدَّمَ خَطْوَةً أُخْرَى لِيَصْعَدَ إِلَى ٱلشَّجَرَةِ. وَهُوَ غَافِلٌ عَمَّا يُخَبِّئُهُ لَهُ ٱلْقَدَرُ. إِذْ لَمْ يَكُنْ يَدْرِي بِأَنَّ ٱلْحَلْقَةَ ٱلثَّانِيَةَ مِنَ ٱلْفِخَاخِ لَهُ بِالْمِرْصَادِ. فَمَا أَنْ وَطِئَ ٱلْأَرْضَ، وَمَسَّتْ قَدَمُهُ وَاحِدًا

مِنْهَا. حَتَّى ٱنْطَبَقَ عَلَيْهِ بِكُلِّ شِدَّةٍ، وَأَمْسَكَ رِجْلَهُ. فَاهْتَزَّ ٱلذِّئْبُ مِنْ وَقْعِ ٱلْمُفَاجَأَةِ .وَعَوَى عُوَاءً عَالِيًا. فَقَدْ تَأَلَّمَ كَثِيرًا، وَأَحَسَّ بِوَجَعٍ شَدِيدٍ. ثُمَّ مَا عَتَّمَ أَنْ هَدَأَ وَسَكَنَ.

حَاوَلَ ٱلتَّعِسُ جَذْبَ ٱلْفَخِّ كُلِّهِ وَٱقْتِلاَعَهُ مِنَ ٱلْأَرْضِ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ، لِأَنَّهُ كَانَ مَشْدُودًا بِحَبْلٍ مَتِينٍ، يُمْسِكُهُ وَتَدٌ كَبِيرٌ، دُقَّ فِي ٱلْأَرْضِ، حَتَّى غَابَ تَحْتَ ٱلتُّرَابِ. فَلَمَّا يَئِسَ مِنِ ٱقْتِلاَعِهِ، أَحْزَنَهُ كَثِيرًا وُقُوعُهُ فِي هَذَا ٱلْمَأْزَقِ ٱلْحَرِجِ. وَلَمْ يَهْتَدِ لِوَسِيلَةٍ تُعِيدُ لَهُ حُرِّيَّتَهُ وَسَلاَمَتَهُ. وَعَلِمَ أَنَّ لاَ مَفَرَّ لَهُ مِنَ ٱلْمَوْتِ. إِنْ كُتِبَ عَلَيْهِ ٱلْوُقُوعُ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْفَلاَّحِ.

لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ إِلاَّ وَسِيلَةٌ وَاحِدَةٌ، يَنْجُو بِهَا مِنْ وَرْطَتِهِ، وَتَحُولُ بَيْنَ ٱلْفَلاَّحِ وَبَيْنَ ٱلْقَبْضِ عَلَيْهِ...

إِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَقْطَعَ سَاقَهُ، وَيَتْرُكَهَا فِي ٱلْفَخِّ. وَإِنْ هُوَ لَمْ يَفْعَلْ. فَسَيَبْقَى حَبِيسَ ٱلْفَخِّ، حَتَّى يُمْسِكَهُ رَبُّ ٱلْحَقْلِ. وَٱحْتَارَ ٱلذِّئْبُ. وَلَمْ يَعْرِفْ أَيَّ ٱلْأَمْرَيْنِ يَخْتَارُ... فَكِلاَهُمَا شَرٌّ. وَلَكِنَّ بَعْضَ ٱلشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ. فَاخْتَارَ أَخِيرًا أَهْوَنَ ٱلشَّرَّيْنِ، وَأَخَفَّ ٱلضَّرَرَيْنِ. وَفَضَّلَ أَنْ يَقْطَعَ قَدَمَهُ وَيَبْقَى بِثَلاَثَةِ أَرْجُلٍ، عَلَى أَنْ يَمُوتَ...

أَقْعَى ٱلذِّئْبُ عَلَى عَجْزِهِ. وَوَضَعَ قَدَمَهُ ٱلَّتِي أَمْسَكَ بِهَا ٱلْفَخَّ بَيْنَ أَنْيَابِهِ ٱلْحَادَّةِ... وَضَغَطَ عَلَيْهَا بِكُلِّ مَا أُوتِيَ فَكَّاهُ مِنْ قُوَّةٍ. وَمَا فِي أَسْنَانِهِ

مِنْ حِدَّةٍ وَمَضَاءٍ. فَتَدَفَّقَ ٱلدَّمُ غَزِيرًا... ثُمَّ ٱنْفَصَلَتِ ٱلْقَدَمُ عَنْ بَقِيَّةِ ٱلسَّاقِ... تَغَلَّبَ ٱلذِّئْبُ عَلَى ٱلْأَلَمِ ٱلْمَرِيرِ ٱلَّذِي كَانَ يَشْعُرُ بِهِ. وَوَقَفَ لَحْظَةً يَتَأَمَّلُ قَدَمَهُ ٱلْمَقْطُوعَةَ، وَٱلدَّمُ يُقَطِّرُ مِنْهَا، وَٱلْأَسَى يَغْمُرُ فُؤَادَهُ... ثُمَّ تَرَكَهَا عَالِقَةً بِٱلْفَخِّ. وَٱنْثَنَى خَارِجًا مِنَ ٱلْحَقْلِ، وَهْوَ حَزِينٌ مُتَأَلِّمٌ آسِفٌ. وَعِنْدَمَا ٱنْتَهَى إِلَى ٱلْبَابِ، وَقَبْلَ أَنْ يَهُمَّ بِمُغَادَرَتِهِ، ٱلْتَفَتَ إِلَى حَيْثُ تَرَكَ جُزْءًا مِنْ جِسْمِهِ، وَبَقِيَ يَنْظُرُ طَوِيلاً إِلَى قَدَمِهِ ٱلْمَفْصُولَةِ. وَكَأَنَّهُ يُوَدِّعُهَا وَدَاعًا لاَ لِقَاءَ بَعْدَهُ...

وَهَكَذَا نَجَا ٱلذِّئْبُ مِنَ ٱلْفَخِّ... وَسَلِمَ مِنَ ٱلْمَوْتِ بِيَدَيِ ٱلسَّلاَّمِي... وَلَكِنَّهُ رَجَعَ إِلَى وِجَارِهِ وَٱلدَّمُ يَقْطُرُ مِنْ جُرْحِهِ، وَهْوَ يَسِيرُ عَلَى ثَلاَثَةِ أَقْدَامٍ، وَيُقَاسِي أَفْظَعَ ٱلْآلاَمِ...

وَعَرَفَ ٱلسَّلاَّمِي ٱلْقِصَّةَ مُنْذُ أَنْ دَخَلَ مِنَ ٱلْبَابِ. فَلَقَدْ كَانَتِ ٱلدِّمَاءُ ٱلْكَاسِيَةُ وَجْهَ ٱلْأَرْضِ خَيْرَ بَشِيرٍ لَهُ. وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ، وَمُنْذُ أَنِ ٱبْتَدَأَ ٱلصِّرَاعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلذِّئْبِ ٱلْأَغْبَرِ، لَمْ يَفْرَحْ كَمَا فَرِحَ وَهْوَ يَرَى قَدَمَ ٱلذِّئْبِ فِي ٱلْفَخِّ... وَلَقَدْ أَوْشَكَ أَنْ يَرْقُصَ، لِشِدَّةِ مَا ٱسْتَوْلَى عَلَيْهِ مِنْ جَذَلٍ وَٱبْتِهَاجٍ... وَصَاحَ قَائِلاً:

- «ٱلْآنَ.. ٱسْتَرَحْتُ مِنْ شَرِّكَ أَيُّهَا ٱلذِّئْبُ ٱلْخَبِيثُ... فَسَوْفَ لَنْ تَسْتَطِيعَ ٱلْمَشْيَ، وَأَنْتَ أَعْرَجُ لاَ تَسِيرُ إِلاَّ عَلَى ثَلاَثَةِ أَقْدَامٍ فَقَطْ.»

ٱلذِّئب ٱلْأَعــرج

أَصَابَ ٱلسَّلاَّمِي ،وَأَخْطَأَ. أَصَابَ لِأَنَّ ٱلذِّئْبَ تَرَكَ ٱلْقُدُومَ فِعْلاً إِلَى ٱلْحَقْلِ بِسَبَبِ آلَامِ جُرْحِهِ. وَأَخْطَأَ فِي ٱعْتِقَادِهِ أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى ٱلْمَشْيِ بِثَلاَثَةِ أَرْجُلٍ فَقَطْ. ذَلِكَ أَنَّ ٱلذِّئْبَ ٱلْأَغْبَر لَمْ يبْتَعِدْ عَنِ ٱلْحَقْلِ إِلاَّ رَيْثَمَا ٱنْدمَلَ جُرْحُهُ، وَشُفِيتْ سَاقُهُ. وبِمُجَرَّدِ أَنْ تمَّ لَهُ ذلِكَ، عاوَدَ ٱلْغارَةَ عَلى ٱلْحَقْلِ، وَٱلْهُجُومَ عَلَيْهِ. فَأَتَاهُ وَهْوَ يَعْرُجُ، وَ يَسِيرُ سَيْرًا وَئِيدًا بَطِيئًا. وَقَدْ أَمْكَن لَهُ أَنْ يَجِدَ فِيهِ مَا أَشْبَعَ جَوْعَهُ، مِنْ عِنَبٍ مُتَدَلٍّ فِي عَنَاقِيدَ كأَنَّهَا ٱلثُّرَيَّاتُ، وَرُطبٍ مُتَسَاقِطٍ مِنْ عَرَاجِينِ ٱلنَّخْلِ. وقَدْ كَانَ لاطْمِئْنَانِ آلسَّلاَّمِي، أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي رَاحَةِ ٱلذِّئْبِ، ٱلَّذِي صَارَ يَجُوسُ خلالَ ٱلضَّيْعَةِ ويرُوحُ ويغْدُو مُطْمئِنًّا سَالِمًا. وَلَوْ أَنَّ ٱلسَّلاَّمِي كانَ حَازِمًا، لَمَا أَهْمَلَ ٱلْحِرَاسَةَ، وتَرَك نصْبَ ٱلْفِخاخِ. فَإِنَّ سُوءَ ٱلظَّنِّ مِنَ ٱلْحَزْمِ.

وَذاتَ يَوْمٍ، بَيْنَمَا هُوَ مُنْحَنٍ عَلَى ٱلْأَرْضِ، يُسوِّي تُرَابَ قِطْعَةٍ كَانَ عَزقَهَا بِالْأَمْسِ، ٱسْتِعْدَادًا لِزَرْعِهَا، إِذْ لاَحَظَ وُجُودَ آثَارِ أقدَامٍ على ٱلْأَرْضِ. فَتَأَمَّلَهَا جيِّدًا، فتأَكَّد لَدَيْهِ أَنَّها لِذِئْبٍ. وعَدَّ ٱلْآثَارَ ٱلْمُنْطَبِعةَ فِي ٱلتُّرابِ، فَوَجَدَهَا ثَلاثَةً فَقَطْ. فَوَقَفَ ،بعْد أَنْ كَانَ مُنْحَنِيًا. وَقالَ وَهْوَ يَضْرِبُ كَفًّا بِكَفٍّ :

— « هَا هُوَ ذَا ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ قَدْ عَادَ... ٱلْوَيْلُ لَهُ... مَا أَشَدَّ مِرَاسَه... وَمَا أَعْظَمَ دَهَاءَه... فَحَتَّى وهْوَ بِثَلاَثَةِ أَرْجُلٍ فَقَطْ، لَمْ يَكُفَّ عَنِّي أَذاه.

وَلَمْ أَسْلَمْ مِنْ شَرِّهِ... وَلَكِنْ... هَلْ سَيَسْتَمِرُّ ٱلْأَمْرُ هَكَذَا إِلَى مَا لاَ نِهَايَةَ لَهُ ..؟ لاَ.. لاَ.. إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ نِهَايَةً... وَسَتَكُونُ نِهَايَتُهُ عَلَى يَدَيَّ، مَهْمَا كَانَتِ ٱلْأَتْعَابُ، وَمَهْمَا تَفَنَّنَ فِي ٱسْتِنْبَاطِ ٱلْغَرِيبِ مِنَ ٱلْحِيَلِ، وَالعَجِيبِ مِنَ ٱلْمَكْرِ وَٱلدَّهَاءِ. فَصَبْرًا... صَبْرًا... أَيُّهَا ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ.. فَمَا اليَوْمُ ٱلَّذِي تَحُلُّ فِيهِ نِهَايَتُكَ عَنَّا بِبَعِيدٍ.»

جَمَعَ ٱلسَّلاَّمِي فِخَاخَهُ. وَنَصَبَهَا تَحْتَ نَخْلَةٍ. ثُمَّ نَثَرَ فَوْقَهَا كَثِيرًا مِنَ الرُّطَبِ، بَعْدَ أَنْ جَنَاهُ مِنْ نَخْلاَتٍ أُخَرَ. وَلَمْ يَبْقَ فَوْقَ ٱلْأَرْضِ رُطَبَةٌ لاَ يُوجَدُ تَحْتَهَا فَخٌّ. وَغَرُبَتِ ٱلشَّمْسُ. فَبَسَطَ ٱللَّيْلُ وِشَاحَهُ ٱلْأَدْهَمَ عَلَى الدُّنْيَا، ثُمَّ مَا لَبِثَ ٱلْقَمَرُ أَنْ بَزَغَ، فَأَنَارَ ٱلْكَوْنَ، وَبَدَّدَ ٱلظُّلْمَةَ. آنَذَاكَ خَرَجَ ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ يَسْعَى فِي سَبِيلِ ٱلْحُصُولِ عَلَى غِذَاءٍ يَقِيهِ غَائِلَةَ ٱلجُوعِ. وَلَمْ يَكُنِ المَأْكَلُ مُتَوَفِّرًا إِلاَّ فِي حَقْلِ ٱلسَّلاَّمِي. فَيَمَّمَ نَحْوَهُ، يَسِيرُ الهُوَيْنَا، بِحَسَبِ مَا تَسْمَحُ لَهُ بِهِ أَرْجُلُهُ ٱلثَّلاَثَةُ. وَفِي ٱلْحَقْلِ... بَحَثَ عَنِ ٱلرُّطَبِ تَحْتَ نَخْلَةٍ أُولَى. فَلَمْ يُصِبْ مِنْهُ شَيْئًا. فَانْتَقَلَ إِلَى ثَانِيَةٍ. فَثَالِثَةٍ. وَرَابِعَةٍ... وَأَخِيرًا انْتَهَى إِلَى ٱلرُّطَبِ... فَهَالَتْهُ كَثْرَةُ مَا يُوجَدُ مِنْهُ مَنْثُورًا فَوْقَ ٱلتُّرَابِ... وَٱسْتَرَابَ فِي ٱلْأَمْرِ. ثُمَّ تَحَقَّقَ وُجُودَ ٱلخَطَرِ... فَتَرَاجَعَ عَنِ ٱلْفِخَاخِ. وَعَزَمَ عَلَى ٱلْعَوْدَةِ إِلَى مَاكَانَ أَلِفَهُ مِنْ إِطْبَاقِ ٱلْفِخَاخِ بِالْعَصَا. فَبَحَثَ حَتَّى عَثَرَ عَلَى وَاحِدَةٍ مِنَ ٱلْعِصِيِّ، فَحَمَلَهَا بَيْنَ أَسْنَانِهِ. وَأَطْبَقَ بِهَا ٱلْفَخَّ ٱلْأَوَّلَ. وَبِأُخْرَى أَطْبَقَ ٱلثَّانِيَ. وَكَذَلِكَ فَعَلَ بِفِخَاخٍ أُخْرَى. ثُمَّ أَكَلَ ٱلرُّطَبَ ٱلَّذِي وُضِعَ فَوْقَهَا... وَبِذَلِكَ تَحَقَّقَتْ

بُغْيَتَهُ. وَنَالَ مَرَامَهُ، وَأَطْفَأَ نَارَ ٱلْجُوعِ ٱلَّتِي كَانَتْ تَلْتَهِبُ فِي أَحْشَائِهِ.

وَأُعِيدَتِ ٱلْعَمَلِيَّةُ ذَاتُهَا أَيَّامًا مُتَتَالِيَّةً، وَٱلنَّتِيجَةُ دَائِمًا هِيَ هِيَ. ٱلسَّلَّامِي يَنْصِبُ ٱلْفِخَاخَ. كُلَّ يَوْمٍ فِي مَوْضِعٍ. وَٱلذِّئْبُ يَأْكُلُ ٱلطُّعْمَ. وَلَا يَقَعُ فِي ٱلْفَخِّ. لِأَنَّهُ كَانَ مُتَحَذِّرًا مُنْتَبِهًا. لَا يَخْطُو خَطْوَةً إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَجُسَّ ٱلْأَرْضَ بِعَصَاهُ، ٱلَّتِي كَانَتْ لَا تُفَارِقُ فَمَهُ إِلَّا عِنْدَ ٱلْأَكْلِ. هَذَا فَضْلاً عَنْ كَوْنِهِ يَعْرِفُ مَوْضِعَ كُلِّ فَخٍّ بِمُجَرَّدِ ٱلنَّظَرِ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَتَشَمُّمِ ٱلتُّرَابِ.

بـدايـة ٱلنِّهَـايَـةِ

طَالَتِ ٱلْأَيَّامُ عَلَى ٱلسَّلَّامِي، وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ ٱلْقَضَاءَ عَلَى غَرِيمِهِ. فَضَاقَتْ عِنْدَهُ ٱلدُّنْيَا بِمَا رَحُبَتْ. وَٱسْتَوْلَى عَلَيْهِ مِنَ ٱلْغَمِّ وَٱلْهَمِّ مَا كَرَّهَ إِلَيْهِ ٱلْعَمَلَ، وَأَفْسَدَ خُلُقَهُ. فَصَارَ ضَجِرًا مُتَبَرِّمًا. إِذَا جَلَسَ فِي مَكَانٍ فَوَشِيكًا مَا يُغَادِرُهُ. وَإِذَا بَدَأَ عَمَلاً. فَسُرْعَانَ مَا يَتْرُكُهُ. وَلَمْ يَعُدْ يَذْهَبُ إِلَى ٱلْحَقْلِ إِلَّا نَادِرًا، وَآنًا بَعْدَ آنٍ. وَٱلشَّيْءُ ٱلَّذِي كَانَ لَا يَنِي يُفَكِّرُ فِيهِ. وَلَا يَغِيبُ عَنْ ذِهْنِهِ. هُوَ ٱلْبَحْثُ عَنْ وَسِيلَةٍ كَفِيلَةٍ بِتَحْقِيقِ ٱلْغَلَبَةِ لَهُ. وَٱلْقَضَاءِ عَلَى عَدُوِّهِ. وَقَدْ أَيْقَنَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَأْتِ بِحِيلَةٍ غَرِيبَةٍ مُبْتَكَرَةٍ. فَإِنَّهُ لَنْ يَقْدِرَ عَلَى إِمْسَاكِ ٱلذِّئْبِ. وَلَكِنْ... كَيْفَ تَكُونُ هَذِهِ ٱلْحِيلَةُ؟. ذَلِكَ مَا أَقَضَّ مَضْجَعَهُ، وَنَفَى عَنْهُ ٱلْكَرَى لَيْلاً. وَٱلرَّاحَةَ وَٱلْهُدُوءَ نَهَارًا. وَهَكَذَا أَمْضَى أَيَّامًا عِدَّةً، لَا هَمَّ لَهُ فِيهَا. وَلَا شُغْلَ، إِلَّا ٱلْبَحْثُ وَٱلتَّفْكِيرُ، عَسَاهُ يَهْتَدِي لِهَذِهِ ٱلْحِيلَةِ. وَهُوَ كُلَّمَا ٱهْتَدَى إِلَى خُطَّةٍ. نَبَذَهَا جَانِبًا. وَطَرَحَهَا ظِهْرِيًّا. إِذْ يَجِدُ فِيهَا - بَعْدَ إِمْعَانِ ٱلنَّظَرِ - خَلَلاً. يُصَيِّرُهَا عَدِيمَةَ

ٱلنَّفع. لاَ تَنْطلِي على ٱلذِّئْبِ ٱلْأَغْبرِ. لِمَا عَرَفَهُ عنْهُ مِنْ دَهاءٍ وَمَكْرٍ. وَقَد ٱسْتشَارَ مَهرَةَ ٱلصَّيَّادِينَ. وَذَوِي ٱلْخبْرَةِ مِنَ ٱلْفَلاَّحِينَ. فَلَمْ يُصِبْ عِنْدَ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا يُزِيلُ كُرْبَتَهُ، وَيُخَفِّفُ عِبْأَهُ. وَبَقِي يَتَخَبَّطُ فِي ظَلاَمٍ دَامِسٍ. لَمْ يَجِدْ مَنْ يُعِينُهُ على ٱلْخُرُوجِ مِنْهُ.

نَام ٱلسَّلاَّمِي ذَات لَيْلَةٍ بَعْدَ طُولِ سُهَادٍ وَسَهرٍ، وَتَفْكِيرٍ مُتَوَاصِلٍ. فِي ٱلْبحْث عَنْ طَرِيقَةٍ مُثْلَى. يَقْضِي بِهَا عَلَى ٱلذِّئْبِ... فَرَأَى – فِي ٱلْمنَامِ – أَنَّهُ يَنْصِبُ فخًّا كَبيرًا جِدًّا. وعِنْدمَا ٱنْتهَى مِنْ وضْعِه تَحْتَ ٱلتُّرَابِ، أَحَبَّ أَنْ يُصْلِحَ وَضْعَ ٱلطعْم بِعَصًا قَصِيرَةٍ. كَانَتْ بِيَدِه.. فَمَا أَنْ مَسَّت ٱلعَصَا ٱلطُعْمَ حتَّى ٱنْطَبَقَ ٱلْفَخ. وَأَمْسَكَ يَدَهُ. فَصَاحَ مُتَأَلِّمًا. وَٱنْتَبَهَ مِنْ نَوْمِه مَذْعورًا. فتَذَكَّر ٱلْحُلْمَ بِحَذَافِيرِه. ثُمَّ ٱسْتَعادَهُ فِي خَيَالِه. وَأَخَذَ يُفَكِّرُ فِيه مَلِيًّا. ومَا لَبِثَ أَنْ قَذَفَ غِطَاءَهُ جَانِبًا. وَوَثَبَ مِنْ فَوْقِ ٱلْفِرَاشِ. وَهُوَ يرْقُصُ. وَيَصِيحُ:

– « وَجَدْتُهَا.... وَجَدْتُهَا.... وَٱللّهِ لَقدْ وَجَدْتُهَا.... »

فاسْتَفَاقَتْ زَوْجَتُهُ مِنْ نَوْمِهَا فَزِعَةً. وَقَالَتْ، وهْي تَسْتَوِي جَالِسَةً فَوْقَ ٱلْفِرَاشِ.

– « مَا لَكَ يَا سلاَّمِي ..؟ حَدَّ ٱللّهُ عَنْكَ ٱلسوءَ... مَا هِيَ ٱلَّتِي وَجَدْتَهَا..؟»

فَقَالَ لَهَا. وَهْو يَجْذِبُهَا مِنْ يَدِهَا لِتَنْهَضَ:

– « قُومِي... قُومِي... وَزَغْرِدِي... فَقدْ وَجَدْتُ ٱلْحِيلَةَ ٱلَّتِي سَتُمَكِّنُنِي مِنَ ٱلتَّغَلُّبِ عَلَى ٱلذِّئْبِ ٱلْأَغْبرِ... ؟؟»

وَلَمَّا هدأَتْ نَشْوَةُ ٱلْفرَحِ ٱلْأُولَى، وَخمدَتْ حِدَّةُ ٱلسرُورِ. ٱسْتَعَادَ رَزَانَتَهُ وَٱتّزَانَهُ. فَقَصَدَ إلَى فِرَاشِهِ. وَتَدَثَّرَ بِغطائِهِ. ثُمَّ راحَ يَغِطُّ فِي نَوْمٍ هَادِئٍ عميقٍ.

وَٱنطَبَقَ ٱلفَـخُّ

ٱسْتَيْقَظ ٱلسَّلاَّمِي قبْلَ موْعِدِهِ ٱلْمُعْتَادِ بكَثِيرٍ. وَأَيْقَظَ ٱبْنَهُ عبْدَ ٱللَّهِ. وقصَّ علَيْهِ رُؤياه، وَمَا هَدَتْهُ إلَيْه منْ حِيلَةٍ. فَأَعْجبتْهُ ٱلْفِكْرةُ. وَٱتَّفقَا علَى ٱلشرُوعِ فِي تنْفِيذِهَا حَالاً. وَبِدُونِ أَيِّ تَرَاخٍ. فَذَهبَ عَبْدُ ٱللَّهِ، مِنْ فَوْرِهِ، إلَى حدَّادِ ٱلْقَرْيَةِ. فَوَجدَهُ لَمْ يَفتحْ دُكَّانَهُ بَعْدُ. فَجَلَسَ يَنْتَظِرُهُ. وَلَمَّا قَدِمَ، حَيَّاهُ عبْدُ ٱللَّهِ تحِيَّةَ ٱلصَّبَاحِ. فَرَدَّ عَلَيْهِ ٱلْحَدَّادُ تحِيَّتَهُ بِأَحْسَنَ منْهَا. وسَأَلَهُ:

– مالِي أَرَاكَ مُبكِّرًا تَبْكِيرَ ٱلْغُرَابِ، يا عبْدَ ٱللَّهِ؟»

فأَجَابَهُ

– «لَقَدْ بَكَّرْتُ لِئلاَّ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ أَحَدٌ.»

فَقَالَ ٱلْحدَّادُ، وَهْوَ يضَعُ ٱلمِفْتَاحَ فِي ٱلْقفلِ، ويُدِيرُهُ:

– «وَمَا دعَاكَ إلَى ذَلِكَ؟»

– «أَلْجَأَنِي إلَى ذَلِكَ أَنِّي فِي أَشَدِّ ٱلْحَاجَةِ إِلَى أَنْ تَصْنَعَ لِي ٱلْيَوْمَ. بَلْ مُنْذُ ٱلسَّاعَةِ، فَخَّيْنِ كَبِيرَيْنِ جِدًّا. بِحيْثُ يكُونُ حَجْمُهُمَا ضِعْفَ ٱلْحجْم ٱلاعْتِيَادِي لِلفِخَاخِ. وَأَنَا علَى ٱسْتِعْدَادٍ لإِعْطائِكَ ما تَطْلُبُ ثَمنًا لَهُمَا.»

فَأَجَابَهُ ٱلْحَدَّادُ إلَى ذَلِكَ. وَتَمَّ ٱلاتِّفَاقُ بيْنَهُمَا علَى ٱلثَّمنِ. فَشرَعَ

يَصْنَعُ ٱلْفَخَّيْنِ ٱلْمَطْلُوبَيْنِ. وَأَوْلاَهُمَا كُلَّ عِنَايَته. وبَذَل فِيهِمَا جُهْدَهُ. وَقَبْلَ أَنْ يُكْمِلَ صُنْعَهُمَا ٱلَّذِي ٱسْتَغْرَقَ نَهَارًا بِأَكْمَلِه. قَدِمَ عبْدُ ٱللَّه مُمْتَطِيًا حِمَارَهُ. فَانْتَظَرَهُ حَتَّى ٱنْتَهَى مِنْهُمَا. فَتسَلَّمَهُمَا مِنْهُ. وَدَفَعَ ٱلْمَبْلَغَ ٱلْمُتَّفَقَ عَلَيْهِ. وَوضَع كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي (عَدِيلَة). وَسَاقَ ٱلْحِمَارَ أَمَامَهُ، وقَصَدَ إِلَى ٱلْحقْلِ مُبَاشَرَةً. وَمَا ٱنْتَهَى إِلَيْهِ حَتَّى كانَتِ ٱلشَّمْسُ مُوشِكَةً عَلَى ٱلْغُرُوبِ. وَبِسُرْعَةٍ أَنْزَلَ هو وَوَالِدُهُ ٱلْفَخَّيْنِ. ونَصَبَ أَحدَهُمَا تَحْتَ نَخْلَةٍ. وَنثَرَ فَوْقَهُ رُطَبًا جَنِيًّا. كَمَا نَصَب ٱلسَّلاَّمِي ٱلآخَر تحْتَ كَرْمَة: وَطَرَحَ فَوْقَهُ حُبُوبًا مِنْ عِنَبٍ نَاضِجٍ، ٱصْفَرَّ وَصَفَا، حَتَّى أَضْحتْ بُزُورُهُ تُحْسَبُ مِنْ وَرَاءِ قِشْرَتِه ٱلشَّفَّافَة. ثُمَّ عَمَدَا إِلَى كُلِّ ٱلْعِصِي ٱلْمَوْجُودَةِ بِالْحَقْلِ، فَجَمَعَاهَا. وَٱخْتَارا مِنْهَا أَقْصَرَهَا، بَلْ مَا تَنَاهَى فِي ٱلْقِصَرِ، وَأَلْقَيَاهَا فِي أَمَاكِنَ مُتَفَرِّقَةٍ مِنَ ٱلْحَقْلِ. أَمَّا ٱلطَّوِيلَةُ مِنْهَا فَقَدْ كانتْ وَقُودًا لِنَارٍ مُتَأَجِّجَة، أَشْعَلاَهَا خِصِّيصًا لِهَذَا ٱلْغَرَضِ. وَبَعْدَ أَنْ ٱطْمَأَنَّا إِلَى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ، ٱنْصَرَفَا إِلَى مَنْزِلِهِمَا، وَقَدْ غَابَتِ ٱلشَّمْسُ. وَلَمْ يبْقَ مِنْ نُورِهَا إِلاَّ آثَارٌ ضَئِيلَةٌ، لاَ تَكَادُ تُبَيِّنُ لَهُمَا طَرِيقَهُمَا.

وَأَثْنَاءَ عوْدتِهِمَا، لَمْ يَكُنْ لَهُما حَدِيثٌ إِلاَّ عَنِ ٱلذِّئْبِ، ومَا سيَقَعُ لَهُ وَوَجَّهَ عَبدُ ٱللَّه الْحَدِيثَ لِوَالِدِه مُتَسَائِلاً:

– «أَتَظُنَّ ٱلذِّئْب سيَنْجُو هَذِهِ ٱلْمَرَّة، يَا أَبَتَاهُ؟»

فَأَجَابهُ بِثقةٍ وَٱطْمِئْنَانٍ:

– «لاَ أَعْتَقِدُ ذلِكَ... فَالْحِيلَةُ فرِيدَةٌ فِي بَابِهَا... وما دَامَ ٱلْفُخُّ كَبِيرًا،

وَٱلعَصا قصيرة، فَإِنَّهُ عِنْدما يُطبِقُ ٱلْفَخَّ بِالْعَصَا، كَعادَتِه، سَوْفَ يَكُونُ رَأسُهُ بَيْنَ فكَّي ٱلْفَخِّ، لا محَالَةَ... وكُنْ على ثِقةٍ أَنَّهُ لَنْ يُفْلِتَ هَذِهِ ٱلْمرَّة، ٱللَّهُمَّ إلاَّ إِذَا لَم يَأتِ إِلَى ٱلْحقْلِ أَصْلاً. وذلِك مَا أَسْتبْعِدُهُ، لِأَنَّ ٱلْجُوعَ يُجْبِرُهُ على ٱلْقُدُومِ، فَلاَ طَعَامَ فِي غيْرِ حَقْلِنَا »

فَقال عَبْدُ ٱللَّهِ. وَهْوَ يَضْرِبُ كَفَلَ ٱلْحِمارِ بِعصاهُ لِيُسْرِعَ :

– « أَرْجُو، مِنْ صَمِيمِ قَلْبِي، أَنْ يَتَحَقَّقَ أَمَلُكَ. »

ٱلذِّئب في ٱلفَخّ

وَقَدِمَ ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ....

وَشَاهَد ٱلرُّطبَ ٱلْعنْبرِيَّ و ٱلْعِنَبَ ٱلْعسْجدِيَّ، وقَدْ نُثِرا عَلَى ٱلْأَرْضِ. وَكَمَا كَان يصْنعُ دائِمًا، ٱنْطَلق يَبْحثُ عَنْ عَصًا لِيُطْبِقَ بِها ٱلْفِخَاخَ فَأَصَابَ وَاحِدَةً مِنْ تِلْكَ ٱلَّتِي تُرِكَتْ لَهُ عَمْدًا...

لَمْ يَتفَطَّنِ ٱلذِّئْبُ لِقِصَرِ ٱلْعَصا. فحَمَلَهَا بَيْن أَسْنَانِهِ. وتَقَدَّم بِها إِلَى مَوْضعِ ٱلْفَخِّ ٱلْأَوَّلِ. وَهْو غَافِلٌ عَمَّا يُخَبِّئُهُ لَهُ رَيْبُ ٱلزَّمَانِ. فَلَمْ يكُنْ يَدْرِي أَنَّهُ يَسيرُ إِلَى حَتْفِهِ بِنَفْسِهِ. فَلَقَدْ تَحَذَّرَ جُهدَهُ. ولَكِن.. هَل يُنْجِي ٱلحَذَرُ مِن ٱلْقَدَرِ ؟.

وَضَعَ ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ ٱلْعَصَا فِي ٱلْفخِّ... فَانطَبَقَ....

ٱنْطَبَقَ ٱلْفخُّ... علَى خُطْمِ ٱلذِّئْبِ... فَصَاحَ صَيْحَةً خَافِتَةً، مَكْتُومةً.. وَأُغْمِيَ عَلَيْهِ. وَٱسْتَفَاق بَعْدَ وَقتٍ قَصِيرٍ مِنْ إِغْمَائِه، فَأَحَسّ بِوَجَعٍ شَدِيدٍ. وَتَأَلَّمَ تَأَلُّمًا مَا عليْهِ مِنْ مَزِيدٍ. فَقَدْ كَادَ فَكَّا ٱلْفخِّ أَنْ يَقْطَعَا أَنْفَهُ وَفَمَهُ.



وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَتِينَ ٱلْبُنْيَةِ، قَوِيَّ ٱلْعظَامِ. لَقَضَى عَلَيْه ٱلْفَخُّ ، مُنْذُ ٱلْوَهْلَة ٱلْأُولَى . وَبقِيَ مُدَّةً وَهْوَ جَاثِمٌ فِي مَوْضعه. لاَ يَسْتَطِيعُ حرَاكًا .ثُمَّ أَجْهد نَفْسَهُ. ووَقَفَ. . . وَحَاوَلَ ٱلتَّخَلُّصَ من ٱلْفَخِّ . وَلَكن بِدُون جَدْوَى . . . وَٱلشَّيْءُ ٱلَّذِي جَنَاهُ مِنْ مُحاوَلَته هُو ٱزْدِيَادُ ٱلْأَلَمِ وَتعَاظُمُهُ . وَلذَلكَ كَفَّ عَنِ ٱلْمُحَاوَلَة . وَرَبَضَ سَاكِناً . لاَ يَأتِي بحَرَكَةٍ حِصَّةً طَوِيلَةً. حَتَّى خَفَّتْ حِدَّةُ ٱلْأَلَم. وَشِدَّتُهُ نُوْعًا مَّا . فَأَعَادَ مُحَاولَتَهُ لِلْمَرَّة ٱلثَّانِيَة . فَلَمْ يَكُنْ حَظُّهُ فِي هَذه بِأَحْسَنَ مِنْ حَظِّه فِي تِلْكَ . وَكَانَتْ كُلُّ حَرَكَةٍ يَأتِي بِهَا تُذِيقُهُ صُنُوفًا مِنَ ٱلْآلاَمِ. وَتُشْرِفُ بِهِ عَلَى ٱلْمَوْت . وَهكَذَا لَمْ يَجِدِ ٱلشَّقِيُّ لِنَفْسه خَيْرًا مِنَ ٱلْهُدُوء وَٱلسُّكُونِ . فَهَدَأَ مُرْغَمًا . وَلَكِنْ. . . أَيَبْقَى هَكَذَا مَرْبُوطًا. مَغْلُول ٱلْفَم. حَتَّى يَأتِيَ ٱلْفَلاَّحُ وَيَقْبِضَ عَلَيْه ؟ لاَ . . لاَ . . . إنَّهُ لَنْ يَرْضَى بِذَلِكَ أَبَدًا . . . بَلْ انَّهُ سَعِيدٌ بِأَنْ يَمُوتَ عَاجِلاً . فَذلِكَ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يُشْفِيَ ٱلْفَلاَّحُ مِنْهُ غَلِيلَ نَفْسِه. وَيَنْتَقِمَ مِنْهُ أَفْضَعَ ٱنْتِقَامٍ . ثُمَّ لاَ مَنَاصَ لَهُ مِنَ ٱلْمَوْتِ بَعْدَئِذ. . . وَلِذَا قَرَّرَ أَنْ لاَ يَكُفَّ عَنْ مُحَاوَلَةِ ٱلتَّخَلُّصِ مِنْ هَذَا ٱلْمَأزَق .وَلَوْ قَضَى نَحْبَهُ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ. فَهْوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ :

إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ ٱلْمَوْتِ بُــدٌّ   فَمِنَ ٱلْعَجْزِ أَنْ تَمُوتَ جَبَانًا

شَرَعَ ٱلذِّئْبُ فِي مُحَاوَلَته لاقْتِلاَعِ ٱلْفَخِّ . . .

جَذَبَ . . فَتَأَلَّمَ . . . وَأَعَادَ ٱلْجَذْبَ ، فَعَادَ ٱلْأَلَمُ أَشَدَّ وَأَقْوَى . فَقَدْ كَانَتْ كُلُّ حرَكَةٍ يَأتِي بِهَا. تجْعلُ فَكَّيْ ٱلْفخِّ يَغُوصَانِ فِي لَحْمه. ويزْدادان غوْصًا كُلَّما ٱزْدَاد جذْبًا . وَرَغْمَ ما بذلَهُ منْ جُهْدٍ. وما قاساهُ منْ عناءٍ وَأَلَمٍ. فإنَّهُ لَمْ

يقْدرْ على زَحْزحة ٱلْفخِّ منْ موْضعه قيْدَ أنْملة.

ولَمَّا كَانت ٱلْحاجةُ تفْتقُ ٱلْحيلة. وتخْلقُها. فإنَّهُ ٱهْتدَى إلَى سُلوك سَبيلٍ ثانيَةٍ للخلاص منَ ٱلْورْطَة ٱلَّتي تورَّط فيها : حفرَ ٱلْأَرْض تحْتَ ٱلْوَتد ٱلَّذي كانَ يُمْسكُ ٱلْفخَّ. ثُمَّ ٱتَّكأ علَيْه ببدَنه كُلِّه. فأَمالَهُ يميناً. ثُمَّ أمالَهُ شمالاً. وأعادَ ٱلْحفْرَ تحْتَ ٱلْوتد. كما أعادَ ٱلِاتِّكاءَ علَيْه. كرَّاتٍ مُتَواليةً. ثُمَّ تأَخَّرَ إلَى ٱلْوَراء. جاذباً ٱلْفخَّ كُلَّهُ.. فاقْتلع ٱلْوتد... ولَمْ يتَيسَّرْ لَهُ ذَلكَ إلاَّ بَعْدَ أنْ تألَّم وتعذَّب. فقَدْ كانَ كُلَّما تحرَّك تأذَّى وتوَجَّع. بيْدَ أنَّهُ صبر وتشَجَّعَ. مُؤمِّلاً أنْ يَكُونَ ٱقْتلاعه للْفخِّ سَبيلاً للنَّجاة.

غادَرَ ٱلذِّئْبُ ٱلْحقْلَ وهْوَ مغْلولُ ٱلْفَم، مَوْجوعٌ. يَجُرُّ ٱلْفخَّ. ويترنَّحُ في مَشْيه. ويُعاني منَ ٱلْأَوْجَاع وَٱلْآلَام مالاَ يُطَاقُ، وَلا يُوصَفُ. ومَعَ ذَلكَ كانَ يُتابعُ ٱلسَّيْرَ. ويتأَلَّمُ في صَمْت. وحالَما ٱبْتَعدَ عَنِ ٱلْحقْلِ أقْعَى جَالساً عَلَى مُؤخَّره مثْلَما يَجْلسُ ٱلْكَلْبُ. وأرادَ تخْليصَ وَجْهه من ٱلْفخِّ. فرفَعَ إحْدَى يدَيْه ودفعَهُ بِهَا. فلَمْ يتزحْزحْ فكَّا ٱلْفخِّ. ولَمْ يتحوَّلاَ عَنْ مكَانهمَا. وَأعادَ ٱلْمُحاولَةَ بيدَيْه ٱلاثْنتَيْنِ. فجرَحَ وَجْهَهُ بِمَخالبه، ولَمْ يصْنَعْ للْفَخِّ شَيْئاً. وكَرَّرَ... وكَرَّرَ... فَجرَحَ... وَجُرِحَ... فتمَدَّد عَلَى بَطْنه، وَأخَذَ يُبْعدُهُ، بِعُنْفٍ وَٱهْتيَاجٍ، فَجُرِحَ مِنْ جانِبَي وَجْهه كلَيْهمَا. وبَقِيَ ٱلْفَخُّ فِي مَوْضعِهِ. فَلَمْ ييْأَسْ ،ولَمْ تُثْنِه كَثْرَةُ ٱلْجِرَاح عَنِ ٱلاسْتمْرَارِ فِي ٱلْكِفَاحِ. وكانَ فِي ذَلكَ إضْرَارٌ بِهِ، فتَزَايَدَ أَلَمُهُ، وتَعاظَم عَذَابُهُ...

لَمْ تَعُدِ ٱلْجِرَاحُ تُحْصَى . . . وسَالَ ٱلدَّمُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فِي وجْهِهِ . . . وَٱزْدَاد ٱلتَّعِسُ عَذَابًا عَلى عَذَابٍ . . .

ٱسْتأنَفَ ٱلشَّقِيُّ سيْرَهُ ... مُتعثِّرًا .. مَوْجُوعًا .. مُنْهكًا ... يمْشِي قليلاً وَيَقِفُ طَوِيلاً ، فَقَدْ أَضْنَاهُ ٱلتَّعَبُ، وَأَضَرَّ بِهِ ٱلْأَلَمُ . وَرَغْمَ كُلِّ ذلِكَ فَقَدْ أَعَادَ مُحَاوَلاَتِهِ فِي سَبِيلِ ٱلْخَلاَصِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَبُوءُ بِالْخَيْبَةِ وَٱلْفَشَلِ فِي كُلِّ مُحَاوَلَةٍ . وَلَمْ يَزِدْهُ تَعنُّتُهُ وَإِصْرَارُهُ إِلاَّ تَأَلُّمًا مُتَجَدِّدًا وَجِرَاحًا مُتَضَاعِفَةً، فَتَشَوَّهَ وَجْهُهُ لِكَثْرَةِ ٱلْخُدُوشِ وَٱلنُّدُوبِ . وَكَسَتْهُ ٱلدِّمَاءُ ٱلْمُتَدَفِّقَةُ مِنْهُ بِلَوْنٍ أَحْمَرَ قَانٍ، شَابَتْهُ غُبْرَةُ ٱلتُّرَابِ، فصَارَ لَوْنُهُ بَشِعًا كَرِيهًا وَأَضْفَى عَلَى وَجْهِ ٱلذِّئْبِ ٱلْمُشَوَّهِ مِسْحَةً مِنَ ٱلْفَضَاعَةِ وَٱلْبَشَاعَةِ، جَعَلَتِ ٱلنَّظَرَ إِلَيْهِ يَنْفَطِرُ مِنْهُ ٱلْقَلْبُ، وتَتَقَزَّزُ ٱلنَّفْسُ .

بَعْد سَيْرٍ منْهِكٍ، مُتَقَطِّعٍ، ٱنْتَهَى ٱلْمَطَافُ بِالذِّئْبِ إِلَى (كُدْيَةِ ٱلْأَذْيَابِ) . وَشَاهَدَ سِدْرَةً كَبِيرَةً . مُلْتَفَّةَ ٱلْأَغْصَانِ . كَثِيرَةَ ٱلْأَشْوَاكِ . فَاقْتَحَمَهَا . وَٱنْطَرَحَ فَوْقَ أَشْوَاكِهَا . غَيْرَ عَابِىءٍ بِوَخْزِهَا . وَلاَ بِمَا كَانَ فِيهِ مِنْ تَعَبٍ . وَأَلَمٍ وَجُوعٍ . . . لَمْ يَنْثَنِ ٱلذِّئْبُ عَنِ ٱلسَّعْيِ فِي سَبِيلِ إِبْعَادِ ٱلْفَخِّ . وَتَخْلِيصِ وَجْهِهِ . وَكَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي فَتَرَاتٍ مُتَبَاعِدَةٍ . وَبِضُعْفٍ وَوَهَنٍ شَدِيدَيْنِ . إِذْ لَمْ تَبْقَ لَدَيْهِ قُوَّةٌ لِلصَّبْرِ عَلَى ٱلْأَلَمِ ٱلَّذِي صَارَ لاَ يُطَاقُ وَلاَ يُحْتَمَلُ . . وَزَادَ ٱلطِّينَ بَلَّةً . وَٱلْحَالَةَ تَعكُّرًا وَسُوءًا . إِنَّ حَدِيدَ ٱلْفَخِّ علِقَ . أَثْنَاءَ إِحْدَى ٱلْمحَاوِلاَتِ . بِعُودٍ جَافٍ مِنْ أَعْوَادِ ٱلسِّدْرَةِ . فَصَارَ ثَابِتًا لاَ يَتَحَرَّكُ يَمْنَةً وَ لاَ يَسْرَةً . وكَانَ ذَلِكَ ضِغْثًا عَلَى إِبَّالَةٍ . إِذْ أَصْبَحَ ٱلذِّئْبُ مُقَيَّدًا

أَيْضًا ... فَاسْتَمَدَّ ٱلْبَـائِس مِنْ ضَعْفِه قُوَّةً. وَبَذَلَ مَجْهُودَ ٱلْقَانِط وَجَذَب ٱلْفَخَّ بِكُلِّ مَا تَبَقَّى لَدَيْه مِنْ قُوَّةٍ وَجَلَد. فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَنْتَزِعَهُ مِنَ ٱلْعُود. وَيُبْعِدَهُ عَنْهُ. بَيْدَ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَتَسَنَّ لَهُ إِلاَّ بِعَذَابٍ شَدِيد. ٱحْتَمَلَهُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا. فِي سَبِيلِ ٱسْتِعَادَةِ حُرِّيَتِهِ. ٱلَّتِي يَهُونُ كُلُّ مُرْتَخَصٍ وَغَالٍ بِجَانِبِهَا...

أَنْهَكَ ٱلْأَلَمُ ٱلْمُمِضُّ ٱلذِّئْبَ ٱلْأَغْبَرَ. فَلَمْ تَبْقَ لَدَيْه قُدْرَةٌ. وَأَتْعَبَتْهُ كَثْرَةُ ٱلْجُهُود ٱلَّتِي بَذَلَهَا. فَلَمْ يَعُدْ قَادِرًا عَلَى ٱلْحَرَكَة وَأَضْعَفَتْهُ ٱلدِّمَـاءُ ٱلنَّازِفَةُ مِنْ جِرَاحِه ٱلثَّخِينَة. فَاضْطُرَّ إِلَى ٱلْبَقَاءِ سَاكِنًا. يَتَأَلَّمُ بِصَمْتٍ. وَينتظِرُ مَصِيرَهُ ٱلْمَحْتُومَ فِي صَبْرٍ... فَلَقَدْ قَضَى عَلَيْهِ ٱلْفَخُّ بِأَنْ لاَ يَصِيحَ، وَلاَ يَأْكُلَ، وَلاَ يَشْرَبَ... لَقَدْ حَكَمَ عَلَيْهِ بِأَنْ يَمُوتَ جائِعًا.. عَطِشًا، مُتَأَلِّماً إِنَّهُ لَحُكْمٌ قَاسٍ... بَلْ شَدِيدُ ٱلْقَسْوَةِ... وَلَكِنْ... مَاذَا عَسَاهُ يَفْعَلُ ؟؟ لَيْسَ أَمَامَهُ إِلاَّ ٱلصَّبْرُ... وَٱلصَّبْرُ حِيلَةُ مَنْ لا حِيلَةَ لَهُ...

ٱسْتَسْلَمَ ٱلتَّعِسُ... فَلَمْ تَعُدْ تَنْفَعُهُ ٱلْحِيلةُ، وَلاَ يُغْنِي عَنْهُ ٱلدَّهَاءُ وَٱلذَّكَـاءُ ... وَلَمْ تُجْدِهِ نَفْعًا كَثْرَةُ تَحَذُّرِه ، وَلاَ أَفَادَهُ عَظِيمُ فِطْنَتِه وَمَكْرِهِ... سُدَّتِ ٱلْأَبْوَابُ فِي وَجْهِهِ... وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْمَوْت إِلاَّ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى... فطغَى عَلَيْهِ ٱلْحُزْنُ... وَأَيْقَنَ أَنَّ ٱلْمَوْت نِهَايَةُ كُلِّ حَيٍّ ...

كُلُّ ٱبْنِ ٱنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلاَمَتُهُ ... يَوْمًا عَلَى آلَة حَدْبَاءَ مَحْمُولُ

فَبَقِيَ هَادِئًا... صَابِرًا... يَتَرَقَّبُ ٱلْمَوْتَ فِي كُلِّ حِينٍ... ويتوَقَّعُ ٱلرَّدَى فِي كُلِّ آنٍ....

وَجْهًا لِوَجْهٍ

حَلَّ ٱلسَّلَّامِي وعَبْدُ ٱللَّهِ بِالْحَقْلِ، وَسَارَعَ كُلٌّ مِنْهُمَا إِلَى فَخِّهِ يَتَفَقَّدُهُ. فَأَمَّا ٱلْأَبُ فَقَدْ وَجَدَ ٱلْفَخَّ عَلَى حَالَتِه ٱلَّتِي تَرَكَهُ عَلَيْهَا ٱلْبَارِحَةَ. لَمْ يَمْسَسْهُ أَحَدٌ. وَأَمَّا عَبْدُ ٱللَّه فإِنَّهُ لَمْ يَعْثُرْ على فَخِّهِ أَصْلاً. فَصَاحَ مُنَادِيًا وَالِدَهُ:

– «تَعَالَ... تعالَ... لَقَدْ فَرَّ ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ بِالْفَخِّ...»

وَفَوْقَ ٱلْآثَارِ وَقَفَا يَتَأَمَّلَانِ ويَتَمَعَّنَانِ... وَمِنْهَا طَالَعَا ٱلْقِصَّةَ كَامِلَةً: قَرَآ قِصَّةَ ٱلذِّئْبِ مع ٱلْفَخِّ. مَكْتُوبَةً عَلَى ٱلْأَرْضِ بِدِمَائِهِ وَآثَارِ حَفْرِهِ. ثُم ٱقْتِلَاعِهِ لِلفَخِّ. وَفِرَارِهِ بِهِ...

قَالَ ٱلسَّلَّامِي. وَهْوَ يَفْرُكُ يَدَيْهِ غِبْطَةً وَٱبْتِهَاجًا:

– «إِذَنْ... فقدْ فَرَرْتَ بِالْفَخِّ... لَا بَأْسَ... فَمَا دَامَ ٱلْفَخُّ عَانِقًا بِكَ. فأَمْرُكَ هَيِّنٌ...»

وقدْ فَرِحَ ٱلسَّلَّامِي أَبْلَغَ ٱلْفَرَحِ. وَحَقَّ لَهُ ذَلِكَ. فَخَصْمُهُ ٱلْعَنِيدُ فِي ٱلْفَخِّ. وهْوَ وَإِنْ فَرَّ بِهِ. فَإِنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ ٱلْخَلَاصَ مِنْهُ أَبَدًا. وَذَلِكَ مَا يَجْعَلُ ٱلْعُثُورَ عَلَيْهِ سَهْلاً مَيْسُورًا. وَلَمْ يَتَرَدَّدْ طَوِيلاً فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِ ٱتِّبَاعُهُ وَعَمَلُهُ. فَإِنَّهُ حَمَلَ هِرَاوَةً ضَخْمَةً فِي يَدِهِ. وَٱقْتَدَى بِهِ ٱبْنُهُ. وَخَرَجَا

يقفوان أثر الذئب والفخ. وسارا مسافة طويلة. وهما لا يرفعان البصر عن الأرض. لكيلا يضلا الطريق. ويفقدا آثار عدوهما الألد. وقد سهل عليهما مهمتهما أن حبل الفخ والوتد تركا أثرًا واضحًا في التراب. ما كان لمثلهما أن يغفلا عنه، وهما الخبيران بقص الآثار، وتتبعها فوق الرمال.

وانتهى بهما السير إلى السدرة...

وهناك أبصرا الذئب... طريحًا على الأرض... جريحًا... مشوه الوجه... مغلول الفم...

ورآهما الذئب أيضًا... فأيقن بالخطر.

لم يبال السلامي بأشواك السدرة. ولا بما سيحيق به من وخزها، فاقتحمها غير مهتم بشيء. ثم وقف أمام الذئب مباشرة...

وهكذا... وأخيرًا تقابل الخصمان وجهًا لوجه... واقتربت الساعة الحاسمة... ودق ناقوس النهاية... وأوشك الصراع الطويل الذي نشب بينهما أن يبلغ نهايته.

تحامل الذئب الأغبر على نفسه، فنهض نهوض الأعرج، المعذب، المنهوك القوى... بيد أنه لم يستطع الثبات في وقفته، إلا قليلاً، ثم انطرح على الأرض، يئن أنينًا يدمي القلوب، ويثير الشفقة والعطف. ورغم كل ذلك فإنه لم يلبث في سقطته تلك إلا ريثما استرد أنفاسه، ثم قام ثانية،بعد أن بذل جهدًا جبارًا. وانتصب مؤملاً أن يدافع عن نفسه..

ولَكِنْ... أَنَّى لَهُ ٱلْقُدْرَةُ عَلَى ٱلْمُقَاوَمَةِ ؟ وَبِمَاذَا يَتَوَلَّى ٱلدِّفَاعَ، وَفَمُهُ مَغْلُولٌ، ورِجْلُه مَقْطُوعَةٌ وَجِرَاحُهُ تُضْنِيهِ وَتُعَذِّبُهُ ؟؟...

وَبِالرَّغْم عَنْ حَالَةِ ٱلذِّئْبِ ٱلْأَغْبَرِ ٱلتَّعِسَةِ ، وَآلاَمِهِ ٱلْمُمِضَّةِ فَإِنَّهُ حَاوَلَ ٱلْوُثُوبَ عَلَى خَصْمِهِ، فَهَمَّ بِالْقَفْزِ، وَلَكِنَّهُ تَقَدَّمَ إِلَى ٱلْأَمَامِ، ثُمَّ تَأَخَّرَ ، ثُمَّ فَقَدَ تَوَازُنَهُ، فَسَقَطَ فِي مَكَانِهِ لَمْ يُغَادِرْهُ... وَلَمْ يُمْهِلْهُ ٱلسَّلاَّمِي طَوِيلاً . إِذْ عَاجَلَهُ بِضَرْبَةٍ عَلَى أُمِّ رَأسِهِ. أَفْقَدَتْهُ وَعْيَهُ، فَخَرَّ وَقَدْ أُغْمِيَ عَلَيْهِ .

تَعَاوَن ٱلْوَلَدُ وَوَالِدُهُ عَلَى إِخْرَاجِ ٱلذِّئْبِ مِنْ بَيْنِ ٱلْأَشْوَاكِ . ثُمَّ أَوْثَقَاهُ كِتَافًا . وَنَزَعَا ٱلْفَخَّ مِنْ وَجْهِهِ.. وَبِذَلِكَ أَرَاحَاهُ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلَّذِي كَانَ يُسَبِّبُهُ لَهُ... ثُمَّ حَمَلاَ ٱلذِّئْبَ إِلَى ٱلْقَرْيَةِ، بَعْدَ أَنْ رَبَطَاهُ

إِلى عَصًا طَوِيلَةٍ وَضَعَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا طَرَفَيْهَا فَوْقَ عَاتِقِهِ . وَسَارَا وَهُمَا لاَ يُحِسَّانِ نَصَبًا وَلاَ تَعَبًا، لِفَرْطِ مَا ٱسْتَوْلَى عَلَيْهِمَا مِنْ حُبُورٍ وَجَذَلٍ ..

آرَاءٌ مُخْتَلِفَةٌ

وَصَلَ ٱلإِثْنَانِ بِحِمْلِهِمَا ٱلْغَرِيبِ إِلَى ٱلْقَرْيَةِ .
وَشَاهَدَهُمَا ٱلنَّاسُ، وَٱلذِّئْبُ يَتَدَلَّى مِنْ بَيْنِهِمَا... وَكَانَ ٱلصِّبْيَانُ أَسْرَعَ إِلَى ٱلإِحَاطَةِ بِهِمَا، وَفِي كُلِّ خَطْوَةٍ يَزْدَادُ صَبِيٌّ ، حَتَّى صَارَا يَسِيرَانِ وَسَطَ جَمْعٍ غَفِيرٍ.. وَٱنْتَشَرَ خَبَرُ ٱنْتِصَارِ ٱلسَّلاَّمِي عَلَى ٱلذِّئْبِ ، وَسَرَى فِي ٱلْقَرْيَةِ مَسْرَى ٱلنَّارِ فِي ٱلْهَشِيمِ... وَكَدَأْبِ ٱلنَّاسِ فِي ٱلْقُرَى، تَقَاطَرُوا مِنْ كُلِّ ٱلْأَنْحَاءِ يَنْظُرُونَ، وَأَتَوْا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ يَتَفَرَّجُونَ، شِيبًا وَشُبَّانًا ،

كُهولاً وَصِبْيَاناً. . . وَسَمِعَ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ بِقصَّةِ ٱلذِّئْبِ ٱلْغَرِيبِ. . . وَأَكْبَر ٱلْجَمِيعُ ذَكَاءَهُ وَشِدَّةَ دَهَائِه، وَسَعَةَ حِيلَتِه. . . فَكُنْتَ لاَ تَسْمَعُ إلاَّ عِبَارَات ٱلتَّعجبِ وَٱلاسْتِغْرَابِ تَترَدَّدُ عَلَى أَلْسِنَةِ ٱلْحَاضِرِين : فَهَذَا يَقُولُ : « مَا أَذْكَاهُ مِنْ ذِئْبٍ. . . » . . . وَذَاكَ يُرَدِّدُ :« لِلَّهِ دَرُّهُ مَا أَشَدَّ دَهَاءَهُ. . . . » وَثَالِثٌ يَصِيحُ : « مَا أَخْبَثَهُ. . . » . . . وَيُضِيفُ رَابِعٌ : « حَقًّا إِنَّ ٱلذِّئَاب لَمِنْ أَذْكَى ٱلْحيوانَاتِ. . . ». . فَيرد عَلَيْهِ آخرُ : « إِنَّ هَذَا ٱلذِّئْبَ أَشَدُّ مَكْرًا وَخُبْثًا مِنْ كُلِّ مَا عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ مِنْ ذِئَابٍ. . . »

وَتَطَوَّعَ ٱلْجَمِيعُ بِإِبْدَاءِ آرَائِهِمْ حَوْلَ ٱلْمَصِيرِ ٱلَّذِي يَنْتَظِرُ ٱلذِّئْبَ وَالْعِقَابِ ٱلذِي يَجِبُ أَنْ يُسَلَّطَ عَلَيْه. فَقَالَ قَائِلٌ :

— « أَقْتُلْه يَا سَلاَّمِي شَرَّ قِتْلَة. . . ٱقْتُلْهُ، وَأَرِحْ نَفْسَكَ مِنْهُ وَمِنْ خُبْثِه وَدَهَائِه. . » . وَأَيَّدَ ثَانٍ هَذَا ٱلرَّأْيَ، فَخَاطَبَ ٱلسَّلاَّمِي نَاصِحًا :

— « نَعَمْ يَا سَلاَّمِي. . إِنَّهُ يَسْتَحِقُّ ٱلْقَتْلَ ٱلشَّنِيعَ. . عِقَابًا لَهُ عَلَى مَا أَفْسَدَ لَكَ. وَتَعْوِيضًا لِلتَّعَبِ ٱلَّذِي لَقِيتَهُ فِي سَبِيلِ إِمْسَاكِه. . »

وَأَعْجَبَ هَذَا ٱلرَّأْيُ أَكْثَرَ ٱلْحَاضِرِين. . . فَصَاحُوا :

— « ٱقْتُلْهُ. . . . ٱقْتُلْهُ. . . . »

فَانْبَرَى مِنْ بَيْنِ الجَمَاعَةِ شَيْخٌ . ذَاقَ مِنَ ٱلْحَيَاةِ حُلْوَهَا وَمُرَّهَا . وأَكْسَبَتْهُ ٱلسِّنُونُ ٱلطِّوَالُ ٱلَّتِي عَاشَهَا عَقْلاً نَاضِجًا وَاعِيًا. . . قَالَ ٱلشَّيْخُ وَهُوَ يَدْفَعُ ٱلْجَمْعَ. لِيَصِلَ قُرْبَ ٱلذِّئْبِ :

ـ « إنَّ هَذَا ٱلذئْب. قَدْ أَظْهَرَ مِنَ ٱلذَّكَاءِ وَٱلْبرَاعَةِ . وحُسْنِ ٱلْحِيلَة وَشِدَّةِ ٱلدَّهَاءِ وَعَظِيمِ ٱلْمكْرِ. مَا يجْعَلُهُ فَرِيدًا بَيْنَ ٱلذئَابِ... وَما يُظْهِرُ قِصَّتَهُ فِي مَظهَرٍ غَرِيبٍ. طَرِيفٍ.. وإنَّ مَنْ أَبْدَى مِنْ ٱلذَّكَاءِ وَٱلنُّبُوغِ مِثْلَ هَـذَاٱلْمِقْدارِ ٱلْعَظِيمِ لاَ يجوزُ ٱلتَّسَرُّعُ بِقَتْلِهِ... بَلِ ٱلْوَاجِبُ. فِي نَظَرِي، أَنْ يُجَازَى أَحْسَنَ ٱلْجزَاءِ .وَأَنْ يُكَرَّمَ تكْرِيمًا عَظِيمًا. إِكْبَارًا لِذكَائِهِ ٱلْوَقَّادِ. وَعَبْقَرِيَّتِهِ ٱلنَّادِرَةِ ٱلْوُجُود... وَإِنِّي لِذَلِكَ. أُشِيرُ عَلَيْك يَا سَلاَّمِي بِأَنْ تَتَرَيَّثَ، وَلاَ تَسْتَمِعَ لِكُلِّ مَا يُقالُ لَكَ . فَتُسَارِعَ بِقَتْلِهِ... وَأَرَى أَنْ تَحْمِلَهُ إِلَى ٱلْعُمْدَةِ. وَأَنْ تَسْتَرْشِدَهُ فِيمَا تَصْنَعُهُ بِذِئْبِكَ هَذَا... وَسَتَرَى أَنَّهُ يُقرنِّي عَلَى رَأيِي. وَيُؤَيِّدُ مَا نَصَحْتُكَ بِهِ مِنَ ٱلإِبْقَاءِ عَلَيْهِ وَعَدَمِ ٱلتَّفْرِيطِ فيهِ بِالتَّعْجِيلِ بِقَتْلِه . فَاسْتَمِعْ لِكَلاَمِي... فَإِنِّي لَكَ مِنْ ٱلنَّاصِحِينَ... »

وَلَمْ يُتِمَّ ٱلشَّيْخُ كَلاَمَهُ حَتَّى قَدِمَ ٱلْعُمْدَةُ نَفْسُهُ مُسْرِعًا. ذَلِكَ أَنَّهُ سَمِعَ بِالْخَبَرِ. فجَاءَ لِيُشَاهِدَ هَذَا ٱلذئْبَ ٱلْعَجِيبَ فَأَفْسَحَ ٱلْوَاقِفُونَ، وَتركُوا لَهُ مَمرًّا ... وَٱسْتَمَعَ لِلْحِكَايَةِ مِنْ مَبْدَئِهَا ثُمَّ لِمَا أَبْدَاهُ ٱلْحَاضِرُونَ مِنْ آرَاءَ حَوْلَ مَصِيرِ ٱلذئْبِ. فَاسْتَصْوَبَ رَأيَ ٱلشَّيْخِ . وَقَرَّرَ ٱلإِبْقَاءَ عَلَى ٱلذئْبِ. وَحَمْلَــهُ إِلَى ٱلْوَالِي لِيَرَى رَأيَهُ فِيهِ...

لِكُلِّ مُجْتَهِدٍ جَــزَاءٌ

وَمَثُلَ ٱلذئْبُ بَيْنَ يَدَيْ ٱلْوَالِي....

وَرَوَى ٱلسَّلاَّمِي قِصَّةَ صِرَاعِهِ مَعَ ٱلذئْبِ بِحَذَافِيرِهَا ...

وَأَثْنَاءَ سَرْدِهِ لِلحِكَايَةِ ، كَانَ ٱلتَّأَثُّرُ وَٱلإِعْجَابُ يَبْدُوَانِ عَلَىمَلاَمِحِ ٱلْوَالِي

بِوُضُوحٍ وَجَلاءٍ تَامَّيْنِ... فَقَدْ أَكْبَرَ هَـذَا ٱلذَّكَاءَ ٱلْغَرِيبَ، يَصْدُرُ مِنْ هَذَا ٱلْحَيَوَانِ ٱلْأَعْجَمِ.. وَٱسْتَغْرَبَ كِفَاحَ ٱلذِّئْبِ، وَتَفَنُّنَهُ فِي سَبِيلِ ٱلْحُصُولِ عَلَى قُوتِهِ. كَمَا أَعْجَبَهُ أَيَّمَا إِعْجَابٍ صَبْرُ ٱلسَّلاَّمِي، وَٱسْتِمَاتَتُهُ فِي ٱلدِّفَاعِ عَنْ حَقْلِهِ، وَتَفَطُّنُهُ لِحِيَلِ ٱلذِّئْبِ ٱلْغَرِيبَةِ، وَٱسْتِنْبَاطُهُ لِحِيَلٍ أَعْجَبَ مِنْهَا وَأَغْرَبَ.

قَالَ ٱلْوَالِي، مُخَاطِبًا ٱلسَّلاَّمِي عَقِبَ ٱنْتِهَائِهِ مِنْ رِوَايَتِهِ :

– « حَقًّا إِنَّهَا لَقِصَّةٌ غَرِيبَةٌ... تَسْتَوْلِي عَلَى ٱلْأَلْبَابِ وَتَأْخُـذُ بِمَجَامِعِ ٱلْقُلُوبِ... وَتَقْدِيرًا مِنِّي لِذَكَاءِ ٱلذِّئْبِ، وَتَعْبِيرًا عَنْ إِعْظَامِي لَهُ، فَإِنِّي سَوْفَ آخُذُهُ مِنْكَ.. لِأَحْتَفِظَ بِهِ... لَيْسَ عِنْدِي هُنَا... وَإِنَّمَا فِي حَدِيقَةِ ٱلْحَيَوَانَاتِ بِالْعَاصِمَةِ... وَهُنَاكَ يَتَوَفَّرُ لَهُ ٱلْغِذَاءُ ٱلَّذِي كَافَحَ فِي سَبِيلِهِ كِفَاحَ ٱلْمُسْتَمِيتِ... وَتَحَمَّلَ لِأَجْلِهِ صُنُوفًا مِنَ ٱلْأَذَى، وَأَنْوَاعًا مِنَ ٱلإِرْهَاقِ وَٱلشَّقَاءِ... وَسَتُكْتَبُ قِصَّتُهُ، وَتُوَزَّعُ عَلَى زُوَّارِ ٱلْحَدِيقَةِ. لِيَطَّلِعُوا عَلَى مَا لِبَعْضِ ٱلْحَيَوَانَاتِ مِنْ ذَكَاءٍ وَقَّادٍ، وَفِطْنَةٍ غَرِيبَةٍ... وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ ٱلذَّكَاءَ ٱلَّذِي يَسْتَخْدِمُهُ صَاحِبُهُ فِيمَا يُفِيدُهُ، وَيَنْفَعُ ٱلنَّاسَ، يَكُونُ سَبَبًا فِي إِعْظَامِهِ وَنَفْعِهِ.. كَمَا يَتَيَقَّنُونَ أَنَّ مَنْ كَافَحَ فِي سَبِيلِ ٱلذَّوْدِ عَـنْ مَصْلَحَتِهِ وَمَصْلَحَةِ بِلاَدِهِ، يُلاَقِي أَحْسَنَ ٱلْجَزَاءِ. وَيَنَالُ كُلَّ شُكْـرٍ وَثَنَاءٍ.. وَلِذَلِكَ فَإِنَّ ٱلدَّوْلَةَ – يَا سَلاَّمِي – سَتُعَوِّضُ لَكَ خَسَائِرَكَ... وَسَتُجَازِيكَ عَنْ أَتْعَابِكَ وَسَتُبَادِرُ مُنْذُ ٱلْآنَ، إِلَى إِحَاطَةِ حَقْلِكَ بِسِيَاجٍ حَدِيدِيٍّ.

يَقيكَ فِي ٱلْمُسْتَقْبَلِ شَرَّ كُلِّ مُعْتَدٍ.. وَيُرِيحُكَ مِنَ ٱلْحِرَاسَةِ وَٱلتَّعَبِ .. إِذْ يَكفيكَ مَا تَعَرَّضْتَ لَهُ مِنْ مِحَنٍ. وَمَا بَذَلْتَهُ مِنْ جُهْدٍ. وَمَا لَقِيتَهُ مِنْ عَنَاءٍ وَنَصَبٍ...

وَهَكَذَا ٱنْتَهَتِ ٱلحِكَايَةُ

فِي ٱلْوَاحَةِ ... أُحِيطَ حَقْلُ ٱلسَّلاَّمِي بِسِيَاجٍ . ذِي أَسْلاَكٍ حَدِيدِيَّةٍ مُتَشَابِكَةٍ ، مَتِينَةٍ. فَأَضْحَى مُحَصَّنًا أَتَمَّ ٱلتَّحْصِينِ، لاَ يَدْخُلُهُ أَيٌّ كَانَ إِلاَّ مِنْ بَابِهِ ٱلحَدِيدِيِّ ، ٱلَّذِي لاَ يَغْفُلُ صَاحِبُهُ عَنْ إِغْلاَقِهِ، آنَاءَ ٱللَّيْلِ، وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ..

وَهَكَذَا عَاشَ ٱلسَّلاَّمِي، فِي رَفَاهِيَّةٍ وَسَلاَمٍ : حَقْلُهُ مُسَيَّجٌ، وَغِلاَلُهُ مَحْفُوظَةٌ وَلاَ هَمَّ لَهُ إِلاَّ ٱلْعَمَلُ ٱلدَّائِبُ ٱلْمُسْتَمِرُّ، وَإِنْتَاجُ مَا لَذَّ مِنَ ٱلْفَوَاكِهِ، وَطَابَ مِنَ ٱلْخُضَرِ . . وَبِذَلِكَ سَاهَمَ فِي ٱزْدِهَارِ بَلْدَتِهِ.. وَعَاشَ هُوَ وَأَهْلُهُ عِيشَةً رَاضِيَّةً. وَقَضَى أَيَّامًا هَنِيَّةً وَادِعَةً...

وَفِي حَدِيقَةِ ٱلْحَيَوَانَاتِ... عَاشَ - كَذَلِكَ - ٱلذِّئْبُ ٱلْأَغْبَرُ، بَقِيَّةَ عُمُرِهِ فِي ٱطْمِئْنَانٍ كَامِلٍ...وَهَنَاءٍ شَامِلٍ... رِزْقُهُ مَوْفُورٌ...وَعَمَلُهُ مُخَلَّدٌ، مَشْكُورٌ... عَلَى مَرِّ ٱلدُّهُورِ.....

طبع بمصنع الكتاب
للشركة التونسية للتوزيع
5، شارع قرطاج - تونس
C 21/28/84
ديسمبر 1984
الطبعة الرابعة

مجموعة قصص الأطفال

الصّادرة في حجم 21 × 27

سحب من هذا الكتاب 5.000 نسخة

الشركة التونسية للتوزيع
5 شارع قرطاج – تونس

السعر : 1،300 د.ت.